# إلى القارئ

## الرحلة الافريقية

بقلم : البشير بن سلامة

لم يمض عام على الرحلة التى قام بها الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول الى باريس وقد سميتها آنذاك الرحلة الباريسية (*) تذكيرا برحلة أخرى قام بها أولو الامر فى تونس فى اواسط القرن التاسع عشر ونال أثناءها مدير مجلة « الفكر » ميدالية الصربون حتى شد الرحال الى ثمانية بلدان افريقية زارها من 21 جانفى الى 4 فيفرى 1984 ( موريتانيا ــ الطوقو ــ البنين ــ الغابون ــ الكامرون ــ النيجر ــ السينغال ــ مالى ) .



واذا كانت هذه الرحلة سياسية ، الغرض منها هو تدعيم الروابط بين تونس وهذه البلدان الافريقية ومد الجسور المقطوعة منذ أن حل الاستعمار فى بلدان المغرب العربى فان لها فى الواقع جذورا تاريخية قديمة وابعادا حضارية متصلة بأحداث عريقة تفاعلت معها هذه الرقعة من الارض منذ القدم وجعلت منها رمزا لما كان يجب من تواصل وترابط متين فى نطاق المصالح المتبادلة والتراشح الطبيعي .

ألم يؤكد المؤرخون على البعد الافريقى لقرطاج البونيقية وما كانت تحرص عليه من وجوب الترابط مع بلدان افريقية وليست رحلة حنون الا ذكرى

(*) راجع مجلة « الفكر » السنة 30 ــ العدد 7 ــ أفريل 1985 ، ص.ص. 1011 ــ 1014 .

باهتة لهذه العزيمة السياسية المرتضاة آنذاك . ومهما كان شك المؤرخين فى تفاصيلها وحجمها فانها تدل على أن الترابط الطبيعى بين الشمال ( أوربا ) والجنوب يجب أن يكون همزة الوصل بينهما افريقيا الشمالية .

واذا كانت هذه المحاولات قد أخفقت كلها فى القديم وتعثرت فانما لانها أقيمت على العنف والقوة مما انجر عن ذلك الحروب والمآسى التى خلفت الأحقاد وألوان الهيمنة وانجر عنها الاستعمار البغيض سواء كان الرومانى فى القديم أو الاوربى فى القرنين التاسع عشر والعشرين وكان ديـدن هذا الاستعمار هو تفريق شمل الافارقة والعرب ، للاستيلاء على الخيرات والحفاظ على المصالح مما جر الوبال على البلدان الاوربية فيما بينها وجعلها تخوض حروبا ضارية اهلكت الحرث والنسل وكادت تقضى على البشرية .

ومن المؤسف ان كل الاسباب التى جرت الويلات مـا زالـت قائمـة بين البلدان الافريقية والعربية وفى صلب البلدان الغربية التى تجمعها مصالـح كثيرة ولكن تفرقها ممارسات قديمة وقناعات أخنى عليها الدهر . ولم تفد لا الندوات ولا علم العلماء وبحث الباحثين ودراسة الدارسين ولا مبـادرات السياسيين المحنكين .



وقد حاول الرئيس الحبيب بورقيبة منذ الاستقلال إقامة العلاقـات بين الدول وخاصة الشقيقة والصديقة مبرأة من كل هذه الشوائب وقـام سنـة 1966 برحلة الى عدد كبير من بلدان افريقيا التى تبنت تونس سنـة 1960 انضمامها الى الامم المتحدة بعد استقلالها وحاول مد الجسور المقطوعة وأقـام بين تونس وبينها علاقات أخوة وصداقة ثم أنه رغبة منه فى لم شمل جـزء من البلدان الافريقية المستعملة للغة الفرنسية دعا الى إقامة علاقات على أساس الفرنكوفنية باعتبار اللغة الفرنسية أداة تـواصل بين البلـدان الافـريقية وغيرها مثل الكيبيك وبلجيكيا ولم تنل الفكرة حماس الجنرال ديغول آنذاك وتمت القمة الفرنكوفونية فى أوائل هذه السنة .

وتواصل تونس هذا المسعى متجاوزة كل العراقيل وتمثل ذلك فى هـذه الجولة التى قام بها الاستاذ محمد مزالى فى ثمانية بلدان افريقية وفى حضوره

لقمة الفرنكوفونية التى لا تتعارض مشاريعها المتفق عليها أخيرا مع تشبثنا بلغتنا العربية وحضارتنا العربية الاسلامية بل هى تمكننا من ربط الصلة بين أولئك الذين تزيدنا معرفة بهم وتزيدهم معرفة بنا اللغة الفرنسية نظرا الى أن اللغة العربية قليلة الانتشار الآن فى تلك الربوع .

وبهذه الصورة لم تكن رحلة الاستاذ محمد مزالى فى نظرنا سياسية إذ أنها مكنت تونس من أن تربط علاقات وطيدة سياسية واقتصادية وثقافية فقط بل هى تحمل فى طياتها معانى عديدة أبرزها الوزير الاول التونسى فى خطبه وتصريحاته وركز عليها لقاءاته وهى تنبثق من هذا السعى العميق العريق فى تلافى العوائق والعراقيل التى تحول دون التعاون المثمر بين بلدان العالم وتجعل الفرقة والشحناء والتناحر هى السند فى العلاقات .

وإن الذى يمكن حوصلته ـ بالنسبة الى العوائق المتنوعة ـ لا يحصى ولا يعد فهو يتعلق بمساوىء شخصية لصيقة بأولى الامر تارة وتارة أخرى يرتبط بانساق وأنظمة ارتضتها الدول لها تثبيتا لمصالحها وضمانا لها .

وأول هذه الهنات التى أصابت منذ زمان رجال السياسة وكانت سببا فى المحن والاحن هو ما سماه ابن خلدون الانفراد بالمجد الذى يجر الى الدكتاتورية والحكم المطلق وهو النزوع الى ضرب من العظمة المزيفة لانه كما قال نيتشة : « ليس للرجل العظيم فكره فقط بل أيضا له فكر أصدقائه » وهذا فى الواقع يجر الى فكرة الشورى التى أساسها التشاور والحوار المستمر.

وأعظم الهنات هو ما وقع فيه الكثير من بلدان العالم الثالث بعد استقلالها وهو التمسك بالايديلوجيات وبالانساق الفكرية الجاهزة التى لا تتماشى مع واقع الشعوب بل هى فى آخر الامر تغرق فى ممارسات شبيهة بممارسات الاستعمار أو عصور الانحطاط وأكثر من ذلك فهى تنحو منحى فيه تتبع سياسة توسعية ما إما اقتصادية أو مذهبية وحتى دينية . ولم يكن دور جانب كبير من المثقفين فى بلدان العالم الثالث مساعدا فى هذا المجال على تلافى هذه الهنات بل ان الكثير منهم لم يقفوا موقفا حصيفا ومضوا يغذونها

ويزيدونها استشراء ولم يعملوا على تقوية جانب الخير وشد أزر أصحاب كلمة الحق والعاملين على دعم الديمقراطية .

ويظهر أن البلدان الغنية التي ترى أن خير ضمان لمصالحها هو الاستمرار في الممارسات الاستعمارية المقنعة شجعت هذه الهنات سـواء الكـامنة في أشخاص أولي الامر أو اللصيقة بطبيعة الانظمة فحققت بذلك ما تصبو اليـه من تفرقة وبث الشحناء وهو ما جعلها تستمر في استغلال شعـوب العـالم الثالث واضفاء هيمنتها عليها ، وأصبحت تضرب الحصار على مناطق شاسعة وتجعلها في فكي ملزمة بصنع أيدي أصحابها الناسجة للفرقة .

وأعظم مثال لذلك هذه العزلة المضروبة بين العالم العربي من جهة والبلدان الافريقية وبين البلدان الافريقية والمغرب العربي وجعل هذه المنطقة بين فكي ملزمة : أوربا من جهة وافريقيا من جهة أخرى ثم هذه العزلة بين البلد والبلد الآخر وهي ليس مبالغ فيها اذ حتى اذا صح العزم لازالتها تبقى الحواجز التي صنعها النظام الاقتصادي العالمي المهيمن عليه من قبل الـدول الغنيـة دون التعاون الطبيعي المثمر .



وفي اعتقادي أن المحاولات التي يقوم بها أولو الامر في تـونس منـذ أن استقلت هذه البلاد وأرسى الرئيس الحبيب بورقيبة نظامها على أسس متينة ويواصل ذلك بكل ثبات ونجاح الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول ، إن هذه المحاولات تعد مساهمة في الخروج من هذه الهنات خاصة وأن تونس ليس لها أية فكرة توسعية لا أيديلوجية ولا اقتصادية ولا عسكرية وأنهـا تعمـل في الاتجاه الذي يقيم العلاقات بين الدول على الاحترام المتبـادل وعلى التعـاون المصلحي الكفيل باضفاء الخير والامن والطمأنينة على كل الشعوب .

البشير بن سلامة

# الوطن

شعر: محيي الدين خريف

طفلٌ صغيرٌ لم يزلْ　　يجري وراءَ قُبَّرَهْ
وتربة كريمةٌ　　مخصبةٌ وخيِّرَهْ
أُحبه ألفا وألفا　　في دمي منتظره
الارض ما قد ضمَّها　　والافق ما قد عمَّرَهْ
سبحان من أبدعهُ　　سحرا ! ومن قد صوّرهْ !
جزيرة في خاطر الايامِ . تمضي مُبْحِرَهْ
وغابةٌ ممرعةٌ　　معشبة مخضوضِرَهْ
بها اللّحونُ عذبةٌ　　عَلى المَدى مُعَطَّرَهْ
فَكُلّ ليلٍ مُقْمِرٍ　　وَكُلّ شَمْسٍ مُسْفِرَهْ
وَكُلّ عينٍ ثَرّةٌ　　وَكُلّ سُحْبٍ مُمْطِرَهْ
يَا تُونِس الحُبّ وَيَا　　أَزْكى الأمَانِي المزهره
عودي فلي شوق طويـ　　ـل سوفَ لَنْ اختَصِرَهْ
لَهُ بِدَايَاتٌ ومن لِي　　أَنْ أَضُمّ آخِرَهْ
يَا مُنْيَتِي يَا سَلْوَتِي　　يَا دُرّتِي المُخَيَّرَهْ
إِنّي وانْ قَصّرْتُ فِي الـ　　قَوْلِ . فَمِنْكِ المَعْذِرَهْ
لاَ تُلِمِ الحُبّ الذي　　شَفّ على مَنْ سَتَرَهْ
تَمْضِي ولا يمْضِي ويجـ　　ـتَازُ الدّروبَ الوَعِرَهْ
وَيَنْتَحِي بِرُكْنِكِ الدّافِيءِ يَتْلُو سُوَرَهْ
نَادَتْ بِهِ مِئْذَنَةٌ　　وَرَدّدَتْهُ حُنْجُرَهْ
فِي وَطَنٍ أَيّامُهُ　　ظَافِرَةٌ مُنْتَصِرَهْ

# نظرات على شعر الحداد

بقلم : محمد أنور بوسنينه

لقد كان تأثر الحداد (*) بالوضع الذى عاشه فى مطلع هذا القرن شديدا ، فسجل أحداث عصره التى انفعل بها وعاشها ، وكان فى خضم ذاك الصراع المتواصل سواء مع الرجعية أو الاستعمار ، ودقق النظر فى الحال التى كانت عليها البلاد التونسية واستوحى العبر والعظات من الماضى القريب والبعيد وأعلنها مدوية فى وجه الاعداء وأذنابهم ميسرا سبيل النهوض بالشعب ومشيرا الى الادواء وطرق علاجها وبتر جذور السوء وقطع دابر الشر من مصادره ٠

إنه لم يقل الشعر تكسبا أو تملقا أو ارضاء لشهوة وانما تفجر من أعماقه سيالا هادرا من أجل التقدم والرقى ومن أجل تحريك الهمم واستنهاضها قصد اليقظة والنهضة الحق ...

انه مارس واقع أمته منذ سنيه الاولى من حياته القصيرة الامد وتفطن الى ما ينخر كيان الشعب من مصائب ونكبات ومحن زادت على وضعه السيء سوءا وعلى حاله المريضة مرضا مزمنا مقيتا ...

إنه وإن أنكر البعض شاعريته ومدى طول باعه فى باب القريض الا أننا نشير منذ البداية الى أنشعر الحداد لميدرس دراسة معمقة وبقي الكثير مكتفين بترديد ما وقعت ملاحظته من جانب واحد والاقتناع مسبقا بعدم شاعرية الحداد حتى ذهب البعض كالسيدين محمد المرزوقى والجيلانى بن الحاج يحيى فى

(*) نص المحاضرة التى ألقيت بمناسبة خمسينية الحداد بحامة قابس فى 1985/12/29 .

كتابهما الى اعتبار شعره الوجدانى « مهلهلا ، خاليا من العاطفة المتدفقة والصور الشعرية البارعة » .

إن كل قصيد يجب أن يوضع تحت محك الدرس والتمعن فى أبعاده وأغواره ، مع وجوب الموضوعية فى التحليل بدون تسرع والحكم بالاهواء والمشارب ويكفى بيت واحد ليصبح بما اكتنز من معان وعبر وحكمة نبراسا وعبرة بل وسبيلا لشهرة صاحبه وخلوده والامثال بمثل ما أشرنا كثيرة لا تحصى .

إن ما دفعنى الى التبسط فى هذا الجانب هو حماسى الشديد وغيرتى المخلصة من أجل الدفاع عن حق مهضوم ورغبتى فى أخذ الامور مأخذ جد وصدق بلا تهور واندفاع أو خلفيات مقصودة بل بالاعتماد على البحث المتزن والنظرة الفاحصة والتحليل العميق فيزول بذلك ما علق ببعض الافهام وتتحرر الافكار من التحجر والتعصب المقيت ...

واذا كان للبعض أن يصدر الاحكام على علاتها ولم يستشهد بدليل فكيف لنا أن نسايره ونقتفى خطاه فيما قال ولاحظ ؟ وخشيتى الكبرى هى أن تبقى مثل هذه المواقف متصلة بالسند ومتواصلة بالانتقال من جيل الى آخر ...



يقول زين العابدين السنوسى :

« فى معانى صديقنا السيد الحداد ما يغنيه عن الديباجة وهو غير مكثر من النظم ولكنه يطرق المواضيع الشعبية البحت ، ولا غرو فهو صاحب كتاب « العمال » (1) .

ومن هنا يمكن ان ننطلق بادىء ذى بدء الى الحديث عن أهم الاغراض التى عالجها الحداد فى شعره ونشير اليها فى عجالة لا تبسيط ، فمن حيث الرثاء كتب قصيدا واحدا فى والده الذى افتقده فى عز شبابه أعنى سنة 1919 وهو لا يزال طالبا وضمنه ثمانية وثلاثين بيتا كلها تنضح بشعور فياض واحساس دافق دليلا على تلك المحبة الشديدة لأبيه وما وجد فيه من رعاية وعطف وحنان وتوجيه بل وعلاقة ودية الى حد الصداقة :

---

(1) زين العابدين السنوسى « الادب التونسى فى القرن الرابع عشر » ط. تونس 1928 ، ج 2 ، ص 109 .

فقدت حبيبا في الحياة وطالما ملئت سرورا منه وطالما
وعشت زمانا في ظلال نعيمه ولكنها الايام أنكى وآلما

إنه شعر بمدى الرزء الذى أصابه وبفقده لأعز انسان عليه ففاضت قريحته بهذه الشكوى وهذا التحسر :

أيا أيها الدهر الذى أنت فاجعي بمن كان لي كل الوجود وأعظما
لقد سمتني خسفا وأذرفت أدمعي وأذويت أزهارا وما كنت راحما

ولكنه يؤكد فى نهاية القصيد على أن الامر لله وحده وأنه لا راد لمشيئة العلي القدير وحكمه :

قضى الله ما يقضى فما أنت صانع فلا تعقب الاحزان الا التندما
فيا رب صبرا إن صدرى ضيق حزين كئيب يستحق الترحما

وهكذا تأكد للشاعر وانه لا رجاء فى اليأس وان على الانسان الصبر والتسلح بسلاح الامل ودخول ساحة الحياة بنفس مؤمنة كل الايمان وأصدقه..

كانت هذه القصيدة من أول نتاجه الشعرى تاريخا فى الزمن حيث لم نظفر بقصيد قبل هذا التاريخ اللهم ان كانت للشاعر محاولات أولى لم يرض عنها فأعدمها .

ـ أما الغرض الثانى ونقصد به الوجدانى فانه بامعان النظر فى القصائد التى تنتمى اليه نلاحظ حصرها فى أحد عشر قصيدا تقريبا وفى أحدها وهو معنون بـ « خيبتى فى صديق » ذكره لهذا الجفاء المفاجىء ممن كان يأمل منه صدقا وعهدا وقد كان فى أول الزمالة خير خل ورفيق :

كان لي فى الحياة خل وفي أصطفيه لخلتى ووداي ..
هو سري ومنيتي فى حياتي وسلوي ان عاودتنى العوادى
حرف الدهر سيره فجفاني وعدى صحبتى لغير سداد
ما حسبت الزمان يظهر هذا والليالى يبدين سر العباد

لقد أودع الحداد ضمن هذه النفحات مدى تعلقه بصديقه وقد أخلص فى رفقته وأولاه كل أسراره وأصيب فجأة بذلك التحول المفاجىء وهذا التحريف

فى السيرة والعلاقة والارتباط الاخوي لكنه تأكد فى النهاية وأن الزمن كفيل بكشف أسرار العباد وأغراضهم .

لقد كان الحداد يؤمل فى هذا الصديق الوفاء الدائم والاخلاص للمبادىء أو على الاقل الحفاظ على رباط الزمالة والعمل المشترك ولكن هيهات فقد كان النفور لاسباب شخصية بحتة ومن الطرف المقابل فقط لكن وفى نهاية المطاف يؤكد الشاعر على ن للامر فائدة لمستقبل أيامه والاعتبار بالدروس منها قصد السير فى السبيل الاقوم والامثل :

**قد حمدت الزمان لما هداني وأراني طرف الهوى والرشاد**

إن تقلب الايام وتضارب أحوالها مع العباد أيضا جعلت من الحداد ينظر الى الحياة نظرة ملؤها الاستعداد والدرس والاستنتاج بل وأيضا الاعتبار منها فى حكمة وتبصر وروية والسعى من أجل ازالة الغشاوة عن الابصار ووجوب التحول من الانانية الضيقة الى الشعور العام والتكاتف والمحبة بين الجميع فى أروع صور التناغم الجماعى والتجاوب الانسانى المخلص .

ويؤكد الحداد على تلك الكثرة الكثيرة من الجموع ولكن قل من كان فى مستوى رسالة الانسان الكبرى فى هذا الكون :

**كثرة كالرمال عدا ولكن ما بها ان سبرت عقل سليم** (2)



ـ ولاحظ فى عمق وتبصر بأن هذه الكثرة لا تبعد عن السوائم فى عيشها واكتفائها باللذيذ من أطايب الحياة :

**إنما تلك أكلة وشراب ولباس منمق التنظيم** (3)

ـ لقد انتابت الشاعر أحاسيس مبهمة نتيجة هذه الحياة التى ذاق فيها الامرين ونتيجة ما لاحظ فى خضمها من تقلبات ومحن ومصائب حتى نقم على هذا الحزن المقيم :

**الى أين هذا الحزن يمتد ساحبا علي من السقم المبدد أسحبا**

**على م فؤادى خافق من أضالع تراسلها نار المصائب أشهبا**(4)

---

(2) من قصيد « مع ضميرى » ( 12 بيتا ) المجلد الثانى من كتاب « الادب التونسى فى القرن الرابع عشر 1928 » .

(3) نفس المصدر .

(4) من قصيد « حكم القدر » ( 12 بيتا ) المجلد الثانى من المصدر المذكور .

ـ ويمضي به الشعور بالألم الى حد القنوط فيقول :

**سئمت وجودى والوجود باسره    وصرت أعد الموت خلا محببا** (5)

ـ ولكنه يستدرك فى النهاية بأن على الانسان البحث عن حول وقوة لمواجهة ما يمكن أن يكون حكما باتا وقضاء مبرما فارادة الانسان كفيلة بهذا وأكثر بالصبر والمثابرة :

**قضاء فلا حول نـرد بـه القضـا    ولا مهجة بالصبر تلقى النوائبا** (6)

ويحيا الحداد حياته فى ضنك وصراع معها ويسهر الليالى معتبرا بأحوالها :

**وليلي طويل كـاد يعـدم فجـره    يعوم من الظلماء فى لجـة البحـر**
**يضيق بـه صدرى وتهمـد جثتي    وتصعد أنفاسى لهيبا من الجمر** (7)

لكنه يبارح مضجعه ويخرج متنسما نسائم الحرية والانطلاق مندفعـا الى المطلق والامل ويبصر سنا النور من البدر المضىء رمز التفاؤل والحياة :

**فبينـا انـا فى الظلمتيـن محيـر    أطل علي البدر فى حسنه يسري** (8)

ـ ويعيش الحداد حيرته الوجودية ككل كائن حساس فى خضم هذا الكون ويتأثر بهذه المؤثرات المتتالية والمتعاقبة من جميع الاوجه والنواحى وتختلط عليه السبل فلا يدري مبدأها ومنتهاها :

**وناقضت نفسها عنـدى الحقـائق لا    أرى يقينا ولا ما يوضح الطرقا** (9)

---

(5) نفس المصدر .
(6) نفس المصدر .
(7) من قصيد « بلا أمل » ( 17 بيتا ) المصدر السابق .
(8) نفس المصدر .
(9) من قصيد « حيـرتى » ( 12 بيتا ) المصدر السابق ، مع الملاحظ وأن الشاعر قاله حوالى سنة 1910 لقوله فى ثناياه :

**قد عشت عشرين حولا ما عرفت بها**
**الا الضئيـل مـن التخـريف والخلقـا**

ـ ويمضى الشاعر فى أيامه وقد بدأ فى سبر أحوال البشر فلم يجد منهم الا التعصب والاعتداد بالرأى فى صلف وتحجر :

**هذا ينـادي دليـل الحـق فى جهتي وذا يقول من الاسلام قد مرقـا** (١٥)

ـ إنه ناقم أشد النقمة على من يتخذ الباطل ديدنه وسبيل الشر منحاه جاعلا من الدنيا مطية لاغراضه الشخصية :

**الكل يجرى مع الدنيـا كمـا ذهبت وما لباب الهدى من منهم طرقـا** (١١)

ـ إن الحداد يتأثر أشد ما يكون التأثر للنغم المطرب وللحن الشجي وإنـه لفي كل ذلك يندمج كلية فى الصوت اللذيذ البـاعث على النخـوة والحيـاة والشعور بالسمو الانسانى الحق وقد أودع شعره سطورا رائعة معبرة عـن هذا التعلق والهيام بكل ما يدغدغ حس الانسان وشعوره ويحرك فيه الروح للاتصال بالعالم العلوى :

**والســر فــى الانغــام أن تحكي الصدى للسـامعيـن**
**فهــي الحيــاة خبيئـة فى صرخة أو فى أنيـن** (١٢)

ـ أجل ان فى الصرخة أو فى الانين دليل الشعـور الانسـانى ووجـوب الاحساس بما فى نفوس الآخرين من ألم ممض ولوعة وأسى .

إن النغم مهما كان مصدره هو أبلغ من أن تحد قيمته وأكثر بلاغة وروعة مما يخط الكاتبون وسواء أكان الصوت منبعثا من قصف عود أو رياح هوج فكلهـا :

---

(١٥) نفس المرجع السابق .

(١١) نفس المرجع .

(١٢) من قصيد « الغناء » ( 42 بيتا ) مجلة « العالم الأدبى » ـ العـدد 28 ـ ١٥ أكتوبر 1932 .

**مـا كـــل ذا الا صــــدى الأ نـغــــام فـي الــروح الأمـيـن**
**هـي منطـق الــدنيــا الــذى يسمــو على اللفظ المبيــن** (13)

ـ ويعتبر أن كل نغمة وصوت صادرين من هذا الوجود سر هـذا الكـون ومكنونه الخفي :

**هـي مضمـر الكــون الــذى مــا زال كالكنــز الــدفيـن**
**هـي نبــع آمـــال الحيـــا ة وهـز روح الكـامليـن** (14)

ـ ويتأكد من أن الانغام وسيلة لتحريك السواكن والاندفـاع نحو الحيـاة الأفضـل :

**تـدعـو العـزائـم للـنــزا ل بـرفض عيـش الـواهنيـن**
**القـانعيـن بـمـــا يـكـــون الخـاضعيـن لمـا يـشيــن**
**فـتـهــب فى وجـه الـردى فـى ثـورة للثـائـريـن** (15)

ـ ويرى بأن المنغم الباعث على الشعور بالحمية ونزع رداء التواكل والانهزام هو السبيل الامثل لبقاء الشخصية المتكاملة :



**هــذا الــذى نـحـتـاجـه فـى رفـع كـابـوس مهيــن**
**أمـا البكـاء فـقـد كـفـا نـا ما بكينا فى السنيـن ...**
**ودواؤنـــا فـــى نـغــمـــة هـي صيحـة فـى الـذاهليـن**
**تحيــي الارادة فـى النفــو س فتنضـوي للعـاليـن** (16)

---

(13) نفس المرجع السابق .

(14) نفس المرجع السابق .

(15) نفس المرجع السابق .

(16) من قصيد « الغناء » ( 42 بيتا ) مجلة « العالم الأدبى » ـ العـدد 28 ـ 15 أكتوبر 1932 .

ولا بأس فى هذا الموقف للحداد من النغم بأن نشير الى ما كان لرفيقه النقيب محمد علي من ميل الى الانغام والطرب الى الموسيقى الباعثة للتجدد فى الانفس والارواح ، يقول الحداد فى عرض حديثه عن أخلاق محمد علي :

« يحب الموسيقى حبا جما ودائما اثر اتمام عمل مهم يقترح الاحتفال بها فى سهرات الليل ولقد كان ذلك اثر اعتصاب الرصيف وعند رجوع الحميرى من منفاه وفى مساء يوم 8 جانفى 1925 بعد انفضاض اجتماع فندق الحرير وفى ليال أخرى ، وكان يقول : ان لذة الموسيقى بعد تعب الانسان تفيض عليه سرورا ينسيه التعب ويجدد نشاطه لاستئناف عمله ونحن فى بلادنا إما محرومون منها أو نعتبرها لهوا وفسقا يضيع الفضيلة ويبعث على الفساد ولقد كان يفضل الموسيقى لما فيها من النشاط والقوة على الغناء العربى القديم ويقول : «إنه باقتصارنا على الغناء القديم يولد فينا برقته عاطفة التوجع بالآلام والشكوى منها بيد أننا فى وقت نحتاج فيه الى طرب يثير فينا النخوة والحمية ويبعثنا على اقتحام الاعمال الصعبة » (17) .

ــ لقد كان مزاج الرفيقين رقيقا وحادا فى نفس الحين اذ هما روحان حلت بدنا وقد عاشا هموم شعبهما بنفس الاخلاص والتفانى والبذل والعطاء .

ــ إن الحداد فى اصغائه حتى لصوت ناعورة البئر يتخذ من ذاك الصوت فلسفة للحياة واعتبارا منها :

**أناعورة البئر زيدى أنينا وصبي دموعا كفيض المطر**
**فأنت بنجواك تحيين روضا فتشرق أزهاره كالدرر**
**وأما أنا فأنينى ودمعى مع الدهر ما لهما من أثر** (18)

ــ إنه يدرك ادراكا محسوسا بأن لهذا الوجود نظما عجيبا ويرى أن فى فجر الحياة ابتسامة وأملا :

---

(17) الطاهر الحداد « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » الطبعة الاولى ، مطبعة العرب ، تونس 1927 ، ص 131 .

(18) من قصيد « فى الدوالى » ( 20 بيتا ) نشر بمجلة « العالم الادبى » عدد 29 ــ 7 نوفمبر 1932 .

ينفخ الروح في الصخور ويذكي ثورة الشعر في رنين النـواح
يستثيـر الآلام يرتـاد فيهـا نشوة الروح في وصال الكفاح..

* * *

فعل هذا الوجـود نظم عجيب يلهم الشاعرين أسمى المعـانى
ثـورة فـى محبـة وسكـون فى حياة وصبوة فى مبانى (19)

ــ ويبقى الحداد فى أمله ولا ييأس وينظم قصيدا بعنوان «الرجاء» يضمنه نقمته على العاجزين الخاذلين ويعتبر الامل قوام الحياة وصيرورتها :

لك ما عشت يا رجائى صلاتى يتجلى فيها لى الله نـورا (20)

ــ وحينما يشاهد البدر طالعا فى سماه .

لحت يـا بـدر فاختفى منك ياسى وتبدى الرجـاء بعـد الغـروب
كـم قلـوب تـذوب فيك شعورا فاض كالنور فى الفضاء الرحيب !
وقلـوب تلهـو بـنـورك لكـن تكره النور إن بدا فى العيوب (21)

ــ وبعاطفة جياشة وشعور فياض وذوبان فى صوفية مطلقة وايمان صادق متين يتمسك الحداد بعروة الله الوثقى حيث لا يرى نصيرا غيره ولا أمل فى سواه وأنه هو خالق الاكوان والمتصرف الأعلى والأوحد فيها وأنه هو النور واليقين والمبدي والمعيد :

فانت سنـا روحى وأنت يقينهـا وخمـرة انسي إذ بقيت وحيـدا
عذابى وبؤسى فى سبيلـك جنـة أغني بها شعري إليك نشيدا (22)

---

(19) من قصيد « أحلام » ( 72 بيتا ) 8 ديسمبر 1932 لم ينشر .

(20) من قصيد « الرجاء » ( 50 بيتا ) ممضى بتاريخ 25 جانفى 1933 ــ لـم ينشـر .

(21) من قصيد « يا بدر » ( 24 بيتا ) 23 أكتوبر 1932 ــ لم ينشر .

(22) من قصيد « أملي » ( 25 بيتا ) نشر بجريدة « العمل » فى 6 جـانفى 1959 .

ـ ويبقى الغرضان المتعلقان بالجانب الوطني والجانب الاجتماعي لنشير بان الحداد وقد عاش الثلث الاول من هذا القرن قد تأثر أيما تأثر بالحال التي كانت عليها البلاد التونسية ، وطبيعي أن يضمن شعره صرخات مدوية قصد استنهاض الهمم ووضع الاصبع على الداء الذي كان ينخر كيان الامة فتألم للوضع وصدح بشعر يعكس أوضاع البلاد وتقلب الظروف والاحوال فيها ومصورا في ثناياه مواقف المستعمر ، طمعه وجشعه ونهمه ، إضافة الى تكالب البعض من الاذناب والرجعية من أجل المنفعة الشخصية ولا يهمهم مصير شعب كامل حيث الادواء تنهشه من كل جانب وقد زكوا الغاصب فزكاهم وأغدق عليهم الرتب والرواتب على حساب دم الشهداء والمؤمنين الخلص مضافا الى هذا كله ما ران على الانفس من التخاذل والاستكانة والرضى بالدون واعتبار كل ما ينزل قضاء وقدرا فلا ترى الايدي الا مكتوفة ولا تسمع الا قولة : « كل هذا مقدر في الأزل » !

ولم يرض الحداد بهذا الجمود وهذا الموت البطيء واعتبر أن الحل يكمن في الارادة والعزيمة وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وعلى هذا المبدا سار في منهاجه القويم الامثل فكان أكثر شعره في هذا المنحى يدعو الى الاخذ بالعلوم الصحيحة ووجوب الاخذ بالاسباب التي من شانها أن تكون وسيلة للرقي والتقدم واعتبار ان ليس كل الماضي فيه فائدة بل فيه ما ينفع وهو الاحرى بالابقاء وفيه المضر وهو الاجدر بالهدم والزوال . ففي شعره الاجتماعي ما يثير الحمية ويدفع النفس الى طريق التحرر مع البذل والفداء :

**لا نسأم العيش للاوطان نرفعها ما دام فينا شعاع الروح في الخلد**
**فنطعن الظلم جبارين عن ثقة ونكسر القيد والاغلال من مسد** (23)

ـ وقبل مواصلة العرض في هذا الجانب نلاحظ بأن جزءا هاما من شعره قد خصصه للاهتمام بمشاكل مجتمعه وأحصيت القصائد المعنية بالغرض فبلغت أربعة عشر قصيدا أي حازت أكثر اهتمامه ونظرته ودعوته .

ـ فالعلم في نظره هو أس النجاح وهو الوسيلة الاقوم للبناء وللمستقبل :

**هيا الى العلم نسعى يا بني وطني فالعلم أس نجاح المرء في العمل**

---

(23) من قصيد « نتائج الميزان » ( 31 بيتا ) نشر بالمجلد الثاني من كتاب « الادب التونسي في القرن الرابع عشر » .

**لكنما الجهل أخفى عن بصائرنا — نهج الخلاص فاسرعنا الى الملل** (24)

الى أن يقول وقد تأكد من أن الجهل أصل الداء ومنبع الارزاء :

**لو كان علم لما داسوا لنا وطنا — وساد فينا طغام الغرب بالحيل**
**لو كان علم لأحيى من مزارعنا — ما كان يزهر فى آبائنا الاول**
**لو كان علم لما ماتت صناعتنا — وخاب فى التجر مسعانا على عجل** (25)

الى أن يقول :

**فارسلوا لبلاد العلم نشاتكم — من بعد تزويدها واسعوا بلا كلل**
**وابنوا المدارس تبنوا أس مجدكم — فالله قد خط فوز العلمفي الأزل** (26)

ـ أما النهضة الحق وأما السير فى طريق الرشاد والخروج الى عالم النور فهذا ما سعى اليه الحداد وقد استفز قومه كي ينفضوا غبار السنين الخوالى ويأخذوا الحياة مأخذ جد ويستيقظوا اليقظة الكبرى :

**طال بنا النوم فهيا انهضوا — نحو المعالى أيها الهجع ..**
**نمنا على الامر وطابت لنا — معيشة الذل فلا نجزع** (25)

الى آن يقول :

**ترى يعود الانس يا تونس — وتهدا النفس ولا تفزع**
**ويخصب العيش ونلقى المنى — ودولة العز لنا ترجع** (26)

ـ ويمضى الحداد فى نصحه لقومه باخلاص لا ينتهى فهو العارف بأصل الداء وموضعه وأن الخلاص فى الاتحاد والتضامن ولا إصغاء لقول آخر غيره :

**يا قومى استمعوا للنصح يبذله — أخ لكم همه الاخلاص للوطن**
**إن شئتم أن تنالوا الفوز فاتحدوا — فنحن بين نيوب الجهل والوهن**

---

(24) من قصيد « طال بنا النوم » ( 26 بيتا ) نشر بالمجلد الثانى من المصدر المذكور .

(25) نفس المصدر .

(26) نفس المصدر .

ضعف نقاسيه من امراض كبوتنا    حكم يسير بنا للهول والمحن (27)

ــ وتحيط بالشعب الآفات من كل صوب وجانب ويحاول العمال ضرب بل وقصم ظهر الاستعمار فيقف المتخاذلون ضد المبادىء والقيم ويتبـرؤون من أعمال المصلحين البررة وفى مقدمتهم الشهيد محمد علي :

وكانوا مع الاعـداء فى كسر وحدة    بها هدد العمـال من كان جائـرا
جرائم سموهـا اتحـاد طـوائف    ولكنـه منهـم أبـان السـرائـرا
فلم نجن من ذا غير خـزي أذلنـا    جميعا وراس القوم ظـل مكابـرا

ــ ويتفطن الحداد الى من يتخذ الدين مطية لتحقيق اهوائه ويقف حجر عثرة فى طريق الاصلاح ونهضة الشعب :

راوا باسم دين المصطفى أن يتاجروا    وخافـوا على الاسلام أن يتناثرا ...
تعـاليـت يـا ديـن النبـي محمـد    عن الختل أو منكان للختل ناصرا...
ولكـن قومـا قـد أرادوا بطـونهـم    فنادوا بهـا دينـا أضـل المسايـرا
فباسمك كـم نـذل تقنـع فارتقـى    وكم بك من إفك تعالى مفاخـرا (28)

ــ ولكن الحداد لم يياس وأمل من شعبه الكثير واعتبر أنه لا بد أن يأتى يوم فتتحرر العقول وتتبلور الافهام ويختم الموقف بقوله :

ولكنني مهـما يكن لست يائسـا    فـلا بـد للافهـام أن تتبلـورا
وإن كان حتما أن يطول انتظارنا    فلا بد حتما أن نجد ونصبرا (29)

انه يرى وأن العمل أيضا هو أس من أسس الحياة وأنـه لا فـوز الا بـه وعليه يعتمد :

تسيـر كـل الدنـا للمجـد تبلغـه    وشعبنا لم يقم كالنـاس مـد عشـرا
مجد الحياة نتـاج البـذل فى عمـل    يشيد فيالدهر صرحا ياخذ النظرا(30)

---

(27) من قصيد « نصيحة لقومي » ( 28 بيتا ) نشر بالمجلد الثانى من المصدر ذاتـه .

(28) من قصيد « الخيبة » ( 50 بيتا ) لم ينشر ، وهو بتاريخ أوت 1929 كما هو بخطه .

(29) نفس المصدر .

(30) من قصيد « زعماؤنا » ( 46 بيتا ) 4 جويلية 1932 ، كما هو بامضائه .

ـ ويعيش الحداد أوضاع شعبه المتردى فى الاستكانة والخنوع فيبحث عمن يقف للاصلاح والبناء ويأمل فى الشباب وفى العقول النيرة :

**أين صحف البلاد أين شباب ... يرفع الشعب عاليا كالجبال**
**ما أرى فى البلاد غير جبان ... أو غبي أو عامل فى النكال**
**آه ما أخبث الضمير وأقسى ... آه لو كان ثلة من رجال** (31)

الى أن يقول :

**من أنادى واخيبتى واغتمامى ... مات شعبى فى ظلمة الانبهام**
**خدعته الاوهام فانقاد فيها ... لحياة تجره فى الرغام** (32)

ـ وأما الغرض الوطنى والذى حوى قرابة الاربع قصائد وهي من درر ما جادت به قريحة الشاعر فاننا نظفر فى طياتها برغبته الملحة كى ينفض الشعب عن نفسه ما علق به من الاوهام والصمود فى وجه كل دخيل واعتبار أن لا عز ولا كرامة للانسان اذا بقى مصفدا فى الاغلال مكبلا بقيود الرق والعبودية .

انه أرادها ثورة عارمة على المستعمر الغاشم وانعتاقا كليا من جبروته وحكمه الارعن ، وتكسيرا للسلاسل التى أدمت ذاتيته وكيانه ، إنه واجه الظالم المستبد فى شجاعة نادرة وخاطبه مباشرة بلا خوف أو تخاذل وخاطب شعبه فى أنفة وكبرياء داعيا إياه الى عدم الانخداع بما يروج له أو بما يذيب شخصيته فى بوتقة المحتل بتعلة التجنس والخروج عن الملة والجماعة وما أروعها مواقف وقفها الشاعر مدافعا مستميتا وقد ضرب فى كل منحى نثرا وشعرا . فبالاضافة ، الى ما دبج يراعه نثرا فى الدفاع عن الذاتية بمقاله الشهير «التجنيس نكث للعهد» (33) نظفر بهذه الصرخة المدوية شعرا وقد حذر شعبه من الخدعة والوقوع فى الفخ المنصوب :

---

(31) من قصيد « ضحايا الماضى » ( 150 بيتا ) لم ينشر ، وهو بتاريخ 21 فيفرى 1933 .

(32) نفس المصدر .

(33) « التجنيس نكث للعهد » جريدة « الأمة » العدد 50 ، 4 ربيع الثانى 1342 .

افق أيها الشعب المهان فقد أتوا إليك بتجنيس لعلك تخدع
وأيد لهم بالحس أنك ماجد وإن كنت في بؤس فجنسك أرفع(34)

ـ إن تحليل مواقف الحداد من قضايا أمته يتطلب الوقوف طويلا وإن ما أشرنا اليه فى هذه البسطة الموجزة من حيث الجانب الشعرى وتفاعل الشاعر بقضايا أمته ليجعلنا نقر بأن الطاهر الحداد كان وفيا كأشد ما يكون الوفاء حتى تفجرت قريحته بما يقارب عن الالف ومائتى بيت من الشعر الموزون المقفى معتمدا أكثر البحور استعمالا كالطويل والخفيف والبسيط والسريع والرجز والمتقارب وعلى كل فلا تهم القوالب والاشكال بقدر ما يهمنا منها محتواها ومضمونها وما انطوت عليه من متفجرات الشعور الصادق الامين المعبر عن شواغل النفس وهمومها والمصور للبيئة التى عاشها هذا المصلح الشهيد الذى لم يبخل بلحظة من حياته من أجل الخير للغير والمصلحة للجميع وتكفى خواطره (35) دليلا على ذلك فهى أقرب الى النحت المختصر المنبعث من أعماق النفس والروح والتى سجلت كل انفعالات الحداد آراء ومواقف والحديث عنها غير هذا المجال .

**محمد أنور بوسنينه**

---

(34) من قصيد « بين مارق وخادر » ( 28 بيتا ) نشر بالمجلد الثانى من كتابه « الادب التونسى فى القرن الرابع عشر » 1928 .

(35) « خواطر » للطاهر الحداد ، نشر الدار العربية للكتاب 1975 ، تقديم وتحقيق كاتب المقال .

# تونس الخضراء

شعر: علي هاشم رشيد
(القاهرة)

إقرأ بتونس في مجيد كتابها ... غُرَرَ الفعال وغادها من بابها
سَمْحاءُ في شُطْآنها وسَمائها ... خضراءُ في صحرائها وهضابها
كانَتْ ولم تزَل السماحة والندَى ... والهمة العقساء بعض طلابها
و« حبيبها » مدّ الاله حياته ... ليَظَلّ عطرا من زكي شبابها
قدْ قادَها للمكرُمات فطالها ... وأعزّ بينَ العالمين جنابها
وأتَى لها التاريخُ يفخرُ بالذي ... خطّتْ ، عروسٌ حَولها خُطابها
في قرْننا العشرين شادت طارفا ... فسَمَتْ بما شادَتْ على أترابها
كانَتْ ملاذَ الثائرين كريمة ... وفعالُها قدْ عززتْ أنسابها
كانت لأبطال الجزائر حصنهم ... إذ أطبقتْ سودُ الخطوب بنابها
إن أنس لا أنسَى وقائع سُجّلتْ ... في أنصع الصفحات من كُتّابها
بدَم الفداء وللشعوب مدادها ... وبه تُعزّ سُؤالها وجوابها
لمّا بَدَتْ بَنْزَرْتُ شَمْسا في الفدا ... ترمي إلى دجن الوغى بشبابها
الشّعبُ قالَ وفي الذي قد قالهُ ... فصلُ الخطاب وقدْ أعزّ خطابها
وإذا النفوسُ سَمَتْ ببذل صادق ... كان التحرّر والخُلُودُ ثوابها
من لم يخف في النحل لسعا مؤلما ... جازته نحلته بحُلو رُضابها
وإذا السُّلافةُ في اصطبار عُتّقت ... طابتْ ولَذّ الشاربين شرابها

★ ★ ★

قِفْ بالربوع وَحَيّ فيها شعبَها ... و « حَبيبَهُ » فيه أتَتْ لرِغابها

قد كانَ فارسَها وقائدَ ركبِها ... لمّا حدَتْ بينَ الأنامِ ركابها
فإذا أتيتُ لتونسٍ فلأنّني ... جئتُ السّماحةَ نازلا برحابها
أشكو إليها النّائباتِ ووقعَها ... والجُرحُ منّي نازفٌ بحرابها
والنّفسُ ضائقةٌ بما ينتابُها ... فلقد غدا عُمرَ الزّمانِ عذابها
بينَ التّعتُّبِ والعِتابِ مضاعةٌ ... قد جلّ ما بينَ الأنامِ مُصابها
عَتْبٌ على أحبابنا منْ يعْرُبَ ... والنّفس تصْدُقُ إن سمت بعتابها
بِتْنا كشاةٍ ضُرّجتْ بدمائها ... في غابةٍ ضجّتْ بجوعِ ذئابها
في كُلّ قُطرٍ زمرةٌ مقهورةٌ ... في السّهلِ تائهةٌ وبينَ شعابها
فإذا أحسّتْ بالصّدى نظرَتْ إلى ... ما حوْلَها ، سُقيَتْ سراب شرابها
من أُمّةٍ لم تدْرِ بعْدُ سبيلها ... شُغلتَ عن الجُلّى بموج سبابها
ولوَ انّها جمعَتْ صفوفا فُرّقتْ ... لَغَدَتْ وظالمةُ النُّفوسِ تهابها
إنّي ومن صدقِ التّجارب خبرَتي ... لم تَصبني في الأمنياتِ كذابُها
أحْبَبْتُ تونسَ بعْدَمَا قد شمته ... من غيثها في سُحبها وربابها
باتتْ فلسطينُ الجريحةُ عندها ... تَجِدُ الأمانَ إذا مُصابٌ نابها
وإذا غدت كُلّ الغيُومِ كواذبا ... يَهمي بصِدْقِ الوعْدِ وبلُ سحابها
تتصافحُ الأمجادُ في ساحاتها ... زَهوا وتَسمو للعلاءِ قِبابها
إمّا دعَتْ لمُلِمّةٍ أبناءَها ... هبُّوا وكُلّ بالفِداءِ أجابها
باتَتْ بما قدْ شيّدَتْ أُمْثُولَةً ... لمّا غدا زاكي النجيع خِضابها
رمزُ البسالةِ والفداءِ رجالها ... وسنَا العفافِ تتيهُ فيهِ كعابها
قد جمّعَتْ شَمْلَ العُرُوبَةِ عندها ... لمّا حوتْ في المكرماتِ لُبابها
ومن ابتغى دُرّ البُحور نفيسةً ... جازَ الشواطىءَ مبحرا لِعُبابها
بلَدٌ على الأمجادِ تبقى رمْزَها ... سادَتْ برأيٍ فيهِ نُورُ صوابها
لمّا نزلَتْ رحابَها بشّتْ وقدْ ... زهَتِ السُّطورُ مجيدة بكتابها

**علي هاشم رشيد**
( القاهرة )

# الدِّيكُ الأحمر "كُوكُو"

قصة : محمود بلعيد

الخربة التي يسكنها عبد الله في باب الخضراء ، كانت في قديم الزمان وسالف العصر والأوان دار تجار أثرياء ، ذات طابقين ، انهارت ذات يوم ، ولم تسلم من السقوط الا غرفة واحدة في العلالي تلمس ساباط قاع زنقة سيدي بلهاني ، وشبه غرفة بجانبها .

بمرور الأعوام ونزول الأمطار وتداول الفصول تراكم الردم وتسبطت الخربة فصارت هضبة ، هضبة تماما ترتفع حتى تلمس السطوح وتكشف عن الديار المجاورة . وتنبت الأعشاب البرية في الشتاء وبعض الأزهار الصفراء في الربيع .

يصعد إليها الأطفال أحيانا يلعبون ويمرحون ، ويصعدون إليها قبل عيد الاضحى بكباشهم ...

وأقبل عبد الله ذات يوم وسكن الخربة مع زوجته صالحة ، وزرع فيها الطماطم والفلفل والبصل وحتى البطاطا ، وغرس بعض شجيرات وصارت له فيها أرانب تقفز وتتسابق ، ودجاجات يزداد عددها يوما بعد يوم وديكة ...

كانت زوجته صالحة « تُكَرْكُ » الدجاج وتحمش — الطابونة — بأعواد الزيتون الجالي التي يأتي بها عبد الله من البره من الباب — أي من خارج المدينة .

وكل يوم يجلب عبد الله الماء في صفائح الحرب إلى سكان أزقة وأنهج باب الخضراء . ويطرد المتسولين وعابري السبيل الذين يحومون حول الخربة أو تحدثهم نفسهم بالصعود إليها أو حتى الوقوف أمامها ...

ويهيج هائج عبد الله ويصرخ ويشتم ويقلب صفائح الحرب ويلقي بها بعيدا لكل جالب ماء جديد في الحي .

... ويعود من حين لآخر إلى زنقة سيدي بلهاني سريع الخطى ، مضطرب الحركات ، يخفي دجاجة تحت ثيابه ويصعد بها إلى الخربة ثم يطلقها بين الدجاج ويبقى ينظر إليها مبتهجا .

... في يوم من ايام الصيف كانت القائلة شديدة الحر ، والشمس ممتدة وهاجة لافحة ، وكانت الزنقة هاجعة ساكنة . والديار مغلقة ، والأطفال محبوسين في الغرف متناومين أو نائمين . خرج ديك أحمر اللون ، أحمر العرف جميل من دار . وجعل يتجول في الزنقة ، ويختال متمائلا محركا رأسه عند كل خطوة يخطوها ... وكان له عبد الله بالمرصاد ، انقض عليه فزعق الديك جزعا فشد له منقاره بسرعة ، وعجل خطاه إلى الخربة .

ألقى عبد الله الديك بين دجاجه مبتهجا مبتسما فجعل يجري ويخبط بجناحيه وينقر الدجاج والديكة التي تعترض طريقه ويصيح ...

وخاطبه عبد الله قائلاً بفرح كبير :

— اهدأ ، يمر يوم ويومان وتهدأ يا عنتر ، هكذا أسميك عنتر ، وتصول وتجول وتتحكم في الدجاجات كلها والديكة يا عنتر ، أتعرف أنك أحسن ديك رأيته وأجمل ديك واعظم ، اياما وليالي وأنا اترصدك وأتحيل وها اليوم السعيد أقبل ... وهذا أجمل يوم في حياتي وانت بيننا يا عنتر ...

تابع الديك جريه وصياحه في الخربة فزعا هلعا ، يلتفت يمنة ويسرة باحثا عن منفذ ، يخفق بجناحيه محاولا الطيران والفرار ...

انحدر عبد الله وعاد الى تجواله في الزنقة جيئة وذهابا ، متكلفا الهدوء واللامبالاة ... وفجأة فتح باب دار وظهرت امرأة وقالت بغضب وصوت مرتفع لفتاة صغيرة خرجت من بين رجليها إلى الزنقة :

— اذهبي بسرعة إلى خالك الطاهر في المخزن وقولي له — وشاهدت عبد الله — فتابعت رافعة صوتها أكثر ، قولي له ديكك سرق ويوجد من أخذه ، وأغلقت الباب بشدة .

انطلقت مريم تجري ...

اضطرب عبد الله ، ارتعدت فرائصه وجحظت عيناه ولم يدر ماذا يفعل .. فغادر الزنقة بعجل .

عادت البنية مريم بعد زمن ليس بالطويل إلى الدار وخالها أمامها يسرع الخطى ، يرتجف غضبا وحنقا . اشترى ديكا صغيرا منذ شهور ، واعتنى به ودلله ... وجعل يؤاكله في يده ويشربه ... وصار الديك جميلا ، أحمر اللون قائم العرف شديدا ، يتبع خطى الطاهر كلما دخل الدار ...

... وعندما يجلس في العشية وسط الدار يحوم حوله ... وتشعل أخته فاطمة الكانون لتحضر الشاي وتأتي له بجمرات فيعمر الشيشة ويشعلها والديك ما ينفك يحوم حوله وينظر إليه ولا يبتعد ... ويخاطبه الطاهر قائلا :

– يا كوكو غن لنا يا كوكو .

فيرفع الديك رأسه ويمد عنقه وينطلق صادحا بملء رئتيه ؛

– كككو .. كو...

يبتسم الطاهر ويمد له كفه مملوءة لوزا أو زبيبا أو جلجلانا فيقترب منه ويجعل ينقر بدون خوف أو وجل ثم يعود إلى التنقل وسط الدار والنظر إلى الطاهر من حين لآخر ... ويملأ له كأس قازوز أو سيدر ثم يناديه فيقبل الديك ... ويهمس له بفرح وهو يشرب :

– اشرب يا كوكو القازوز وكل اللوز والزبيب لينعم صوتك ويحلو ! ! ..

ويجذب الطاهر بأناة الدخان من الشيشة فتقرقر ويشرب الشاي باللوز ويبتهج وينتشي ثم يخاطب الديك من جديد مداعبا :

– الآن أتريد أن تجذب جذبة من الشيشة يا كوكو ! ؟

فيصيح الديك :

– ككككوكو

يعود الطاهر يدخن برهة ثم يتابع مازحا ، مبتسما :

– خذ ، خذ واجذب جذبة أحسن لك .

ويمد له غليون الشيشة .
فيصيح الديك من جديد محتجا دون أن يقترب ...
دفع الطاهر باب الدار بغضب وسأل أخته :
— قل لي من الذي أخذ الديك ؟؟ من الذي سرقه ؟؟ .
فأجابته قائلة :
— عبد الله القرباجي سرقه ، سمعت الديك يصيح في الزنقة فأسرعت إلى الباب فشاهدته يبتعد والديك يخبط بجناحيه بين يديه .
— أين هو عبد الله ؟ أين هو ؟ .
وخرج الطاهر قاصدا الخربة ... وصعدها بسرعة صارخا متوعدا :
— اين أنت يا عبد الله ؟ اين أنت ؟؟ أخذت الديك تظن الأمر سهلا ؟؟؟ .
ارتجفت صالحة لصياح الطاهر وخرجت من غرفتها وخاطبته بصوت فيه خوف :
— لا نعرف ، والله لا نعرف ، انظر في الخربة ، انظر في الخربة كلها وابحث ليس عندنا ديكك !
نظر الطاهر في الدجاج كله ، وطاف في ارجاء الخربة كلها ، فلم يشاهد ديكه ولم يشاهد ديكا يشبه عن قرب أو عن بعد فاستشاط غيظا .
وتابعت صالحة قائلة ببعض أمل :
— ربما خرج وفارق الزنقة واختطفه أحد ؟ !
نزل الطاهر من الخربة يتوعد صارخا :
— أنا أعرف من الذي اختطفه وأعرف كيف أجده ، وأين أجده ، ومن بطن الحوت أخرج عبد الله وأخرج الديك معه .
قالت له الفتاة الصغيرة مريم وكانت تتبع خطاه ولم تفارقه منذ ذهابها للبحث عنه :
— انه يذهب دائما إلى قهوة حمام الرميمي .
... فتحت الديار أبوابها ... اتجه الطاهر لحينه إلى القهوة والاطفال يتبعونه وعند اقترابه منها انطلق بملء صوته الخشن المخيف صارخا :

ـ عبد الله اين انت ؟؟ اين أنت ؟؟ واين هو الديك ؟

ارتعد عبد الله في مكانه واندس بين لاعبي الورق ... أقبل الطاهر على القهوة صارخا مزمجرا ، ونظر في الجالسين واحدا واحدا ... وسرعان ما شاهد عبد الله فانقض عليه كالاسد واقتلعه من فوق الكرسي وصاح فيه :

ـ الديك أين هو ؟؟

ـ اى ديك ؟ !

ـ أى ديك ، ولطمه لطمة قوية ، الديك الذى أخذته وصعدت به إلى الخربة اين وضعته ؟؟ ثم علجه ماسكا بتلابيبه ، بحثت عنه في كامل الخربة فلم أجده ، اين خبأته ؟؟ ودفعه بقوة خارج القهوة أمام جمع كبير وجعل يكركره في نهج حمام الرميمي عائدا به إلى الزنقة ...

ازداد عدد الاطفال الصغار وراءهم ـ يشاهدون بفرح عبد الله يأكل في طريحة لاول مرة .

وتابع الطاهر وهو يجرجره :

ـ اخرج لك روحك ان لم تأت بالديك الان .

ـ والله العظيم لا أعرف !!

يعود الطاهر ويرجه رجا عنيفا ويلطمه لطما قويا متتابعا ينهد له عبد الله ويكاد يسقط على الأرض فيقول بصوت متهدج :

ـ تقتلني أنا ، أنا لا أعرف اين هو ديكك ولم أره ، ربما سرقه أحد وانت تخنقني هكذا وتضربني !! ...

ـ انت الذى سرقته وانت الذى خبأته في الخربة ولا يوجد سارق آخر غيرك ؟

ـ أنا لم أر ديكك لم أره أبدا ولم آخذه !! ...

ـ أنت ، أنت أكبر سارق دجاج ، اسمع ان لم ترجع الديك اليوم أقلب الخربة على رأسك واذبح لك كل الدجاج الذى جمعته .

وجعل يجرجره من جديد وعبد الله منقاد ، يترنح كسكران متعثر الخطى محمر الوجه مفتوح الفم منزعج العينين يغمغم بصوت مختنق ... ودخلا الزنقة .

وصلا إلى الخربة بين جمع غفير من اطفال ونساء، رجال وشيوخ يحضرون هذا اليوم المشهود : عبد الله الصعلوك الشرير يلقى القبض عليه ويضرب ويجر .

واخيرا شد الطاهر على رقبة عبد الله شدا قويا فازداد وجهه احمرارا وكاد الدم ينطلق منه وقرب وجهه من وجهه وصرخ فيه :

ـ اجعلك ديكا واذبحك ان لم أجد اليوم الديك .

ثم اطلق سراحه ...

وصعدا الخربة بسرعة ...

هب عبد الله يبحث عن الديك ... بحث عنه بين الدجاج فلم يجده جرى إلى قاع الخربة وبحث عنه بين مشاتل الطماطم والبطاطة فلم يجده ، ونظر فوق الاشجار فلم يجد شيئا ! !

وفي آخر الأمر صعد فوق السطح بخفة واطلق ساقيه للريح ... صعد الطاهر وراءه واقتفى أثره ... وشاهدا على بعد الديك فوق السطح ينظر إلى وسط الدار ويصيح محاولا النزول .

**محمود بلعيد**

# تونس

## - 2 -

شعر: الحبيب الهمامي

- 2 - (*)

لعلّك يا بيرم التونسيُّ نسيتَ خطاكَ هنا
فبأيِ الطيور أشبِّهُهَا كي يُطالعها الزمن الأعرج الخطو ؟
كيفَ سأُبْصِرُ صوتكَ يَتْلُو الحمامْ
علَى شَطَحَاتِ الركَامْ ؟
كأني أُشاهدكَ الآن تأتي منَ الغَيب
بينَ جناحيْك رَمْلٌ وريحٌ
لهذا الزمانُ اللقيطُ .
وتونسُ أقرأ أبوابها
فلماذا دَمِي يَتَلَعْثَمُ ؟؟

- بَابُ سويقةَ يَمْشِي
على أرْجُلِ الضوءِ
- ... قنديل باب المَنَارةِ
يقرأ أسرارهُ للغريبْ
- بابُ الجديدِ بلاَ شجرٍ

فلماذا أنا حينَ أرْمِي خطايَ لهُ
لاَ يَرَانِي خريفي ؟

---

(*) انظر « الفكر » ع : 4 – س : 31 – جانفي 1986 .

● ... بابُ الفلّـة
يَفْتَحُ جُبَّتَهُ المَثقُوبة للقمر المكسُور
وَيَسْأَلُ أيْنَ ينَامُ العَدْلُ
لأُوقِظَـهُ قَبْلَ الطـوفان .
● إلى بَاب سعـدون أذهبُ
مُغتبطا ، أتَقَصّى خُطا العَاشقيـن
أعُـودُ وحيـدا .. وحيــدا ..
فمـن سَـرَقَ النَّبضَ
● بابُ الخضراءِ يُعَاشِرُ حُلْمَ الشَّمْس
وَيَفْتَحُهُ لِبَهَاءِ العَاشِق
للرجُلِ المَغْلُول إلى المَقْهَى ؟
للشرفـة تـكتُبُ مَا لاَ يَنْسَاهُ الآتِي
في شهوتِـه
يتعثّرُ في حُلْـمٍ
● بابُ الخضْـراءِ
يعـاشـرُ حلـمُ الشمـس ويَفْتَحُـهُ
للطيـر ، وللحشـراتِ .
أجـوبُ أزقتـهُ
للفقــرِ مُلُوكٌ
للفقـراءِ بُيُـوتٌ أو ثقـبٌ في الحـائط ...
يا دُعاجِي يَا صَاحِبِي
كيفَ تتـرك ظلك في الموت منْدَثِـرا ؟
وتجيء .
كأنك طفـل التـواصـلِ .. أو سيفــه

أيّها الشيْخُ ليتكَ تقرأ لي ما تراهُ
فأسواق تونس غامضةٌ
وأنا طائرٌ عكرَتْني رياحي
سَقَطْتُ جريحا على « باب بَحْرِ »
وَقَلْبِي تَشَقَّقَ شَوْقا لِمَا سَأَرَاهُ
فَيَا أَيُّهَا الشَّيْخُ : اقرأْ .
— وكيفَ سأَقْرَأُ قالَ ؟
وَهَلْ يَتَرَقَّبُنِي العُمرُ ؟
حتى أحاصر هذا الغموض المؤدي إلى التيه
انظُرْ .. زرابيٌّ مبثوثة
ونمارقُ مصفوفةٌ
والحرير يُشيرُ إلى الضوء
انظرْ .. أوانٍ مزخرفة
وصُحون مزركشة
وأكوابُ ، تَحشُرُ أروقة القلب من سورة « اليَوْم خمرٌ »
اسمعْ .. روَائحَ هذي الحشائش
تنقُرُ ذاكرة الروح بالأغنيات
ألاَ تذكُرُ الآنَ عشبَ الطفولة
أوْ عطرَ أولىَ الصبايَا
كتبْتَ على فمِها قُبْلَة لم تذُقْهَا علَى مَهَلٍ

**الحبيب الهمامي**

# حول موقع مجلة "الفكر" من الحركة الأدبية التونسية

## بقلم : محمد يحيى

### جـدلية المنطلـق :

فى تحديدى لهذه الخواطر أكثر من معنى ، ذلك ان ــ الموقع ــ الذى أقصده بالذات (1) يتطارح الموضوع من المفهوم الذى يستجلى الغوامض ، ويشـرح العوامل والملابسات ، عبر مشاق البحث عن الاضافة الجادة ، والاضاءة الوقادة فى ذاكرة الفكر ، وفسحة الاستلهام الواعى ، اذ الموضوع يتجاوز النظريات وتسجيل النتاجات الظرفية ، ليتجذر أكثر فى احساس الفكـر بالحاجة الى البقاء والاحاطة باليأس والاستسلام ، ذلك ان ــ مجلة الفكر ــ كظاهـرة ثقـافية عـامة كانت تمتلك القدرة على ازالة بعض التقاليد الواهية ــ وكلها من صنع «المشككين» وككل ظاهرة لا بد لها من ضوابط فعلية ، واثبـاتـات ساهمت الى ــ حد بعيد ــ فى ابراز الشخصية التونسية العربية الاسلامية ، عقب فترات عصيبة كانت تونس فيها تتارجح بين وطاة المستعمر ، والوعى بالقدرة الذاتية على المجابهة ، والاحداث الجسام تلو بعضها تصـدم شعور الانسان فى هذا البلد الذى استسلم عبر تاريخه الطـويل حتى جـاء عصـر التفجر الوطنى ، وبدأت الحركة الفكرية والادبية فى تونس تحاول الحضور والنفاذ الى صميم الواقع المعيش ...

---

(1) يذكر الاستاذ الصديق عبد العزيز قاسم هذا الموضوع عبر اهتماماته الشخصية ، وبعد اتصالات مثمرة مع اخوته ليحاضر النـادى الثقـافى ( أبو القاسم الشابى ) فى بداية سنة 1981 ، عن هـذا المـوقع المـمتـاز لمجلة ــ الفكر ــ اذ لعل هذه الخواطر تكون حافزا لاتحافنا ببحثه المنتظر !

فالكاتب الذى كان يكتب فى الغزل اصبح يبحث عن حرية شعبه وكرامته وعزته ـ عبر نظرة جديدة تستنبط وتستبدل القواعد الجامدة بما يؤدى للعصر رسالة التحدى والغوص فى واقع الامور ، ذلك ان ـ جيل « الفكر » ـ قد ادرك تماسكه بالدور المناط بعهدته فى مسؤولية كاملة حتى يتمكن ذلك الجيل من التعامل الجيد والواعى مع مستلزمات ومتطلبات الوعى بالـذات ، وهذا حصل فعلا نتيجة ملاءمة التغيير النفسى والاجتماعى لنمط الكتابة وفلسفتها باعتبارها البنية التحويلية القادرة على تجميع الافكار عبر جدلية موضوعية متميزة بعطاء وافر ، ومؤانسة امتعت جيل « الخمسينات » بتواصل لم ينقطع اريجه حتى يوم الناس !

ان الظاهرة الفكرية لهذه المجلة الرائدة تبقى مستقطبة اهتمام العديد من الكتاب والباحثن لان دلالتها تتخطى حجم وجودها ، الى معاناة الشخصية الفكرية ذاتها فى الخضم الثقافى العربى عامة ، وهذا ما يميز ـ فى نظرى ـ المجلة من تلكم الظواهر التى وان تركت بصماتها فى الواقع الفكرى الا انها لم تعمر طويلا ، اذ عاشت فى حقيقة الامر بعض الاهتمامات الظرفية ورحلت !. بخلاف مجلة ـ الفكر ـ التى نراها قد اثرت فى موقع الحركة الفكرية والادبية التونسية ايما تأثير ، ذلك ان بدايتها كانت بداية فلسفية ونفسية تجذرت بالخصوص فى الوعى الوطنى آنذاك ، اى انها تجاوزت المفهوم السائد فى ذلك الوقت ، [مجلة من أجل المجلة] وبذلك رسمت لنفسها رؤيا مخالفة للعرف ، ومن هنا يمكن لى ان اضعها فى مرتبة الفعل الحاسم فى هرم الحركة الادبية تبعا للمنهج المتميز الذى سارت عليه المجلة ، وهذا الشاعر جعفر ماجد يصف الحرف الذى يتحسس وجوده الفعلى ، ويحطم اصنام العصر بقوله :



**رصاصة الحرف ان سددت طلقتها    تطوى العصور وتجتاز المسافات**
**وفى عيون طغاة الارض عاصفة    نثيرها نحن ، قبل الانقلابات**
**يا أمة وهبت للكون سادته    لم ينضب الوحى فيأرض النبوءات**
**لا بد ان تسقط الاصنام ثانية    ويفتح الشعب أبواب السماوات!**

ذلك ان (الفكر) بالنسبة للمحيط العربى قد تجاوزت صراحة مطاف المغامرة للبحث عن الهوية وتقريب الصلة لدفع التواصل الفكرى ، وللمحيط الدولى اصبحت من المراجع التى يهتم بها ، لتحولاتها ومساهماتها فى بحث القضايا القومية والعالمية بحثا من وجهة تقييمية حضرية ، اذ لهذه المجلة

اسهام واضح فى دفع أدب الجيل نحو العطاء الخلاق ، بعد عهود من التواكل والغبن وطمس التوجه الجدى والوعى الحى لجيل وجد فى « الفكر » الملاذ الاوحد لتأسيس الرابطة الفكرية العقلانية التى لها جذور عميقة تحاور الوجود والعصر ، اذ لا تعتبر مجرد واجهة للعرض والمناسبات الزائلة ...

### اشكالية حضرية :

الظاهرة الاخرى التى أعنيها فى هذه الخواطر هى ان المجلة من خلال ـ عطاءاتها النوعية ـ واسهاماتها فى المحيط الطبيعي والثقافى كانت مجسمة لعودة الوعى للمضمون الحضارى الموصول بالممارسة المعرفية فى شتى الاغراض والفنون ، لدرجة انى لم استطع أن أتساءل عن علة ما ، أو غفلة ما ، سواء فى توازن المعالجة الدورية للمجلة ـ فى طرقها للموضوعات او سهوها للبعض ـ بل كانت بحق تمثل الاشكالية الحضارية من خلال توزيع الاهتمامات ، ورسم الاختصاصات ، وبالتالى جمع الوقائع ـ وبدرجة تنظيرية ممكنة ـ تبرز مدى تقيد « الفكر » بالمنهج الحى والصبغة البنائية المتبعة منها منذ انبعاثها ، سواء يجسمه صدورها المثالى ، فى مفتتح الشهر ـ أو من حيث المضامين الصرفة وموقعها من المساحة الفكرية التى تتيحها هذه المجلة الرائدة !. فهناك انتظام منطقى ومنهجى لاطروحات « الفكر » بحكم حجم القضايا والانماط الادبية والفنية والعلمية بصورة تجعلها متكاملة مع الشكل الحضارى المثبت فى الاداة المنظمة والفاعلة (2) .

لذلك ليس من الصدف ان يتوضح موقع « الفكر » من الحركة الفكرية والادبية التونسية والعربية ايضا ، بل للباحث ان ينصف هذه العلامة الوضاحة فى أدق علاقاتها مع ما نشر من كتب ومجلات ودوريات عالية ، لانها ـ وهى واضحة فى فن التفكير ـ قد نسجت الشروط النفسية لاشكالية البحث عن الموقع والخط والطريق ضمن مدرسة متناغمة فى الاصناف والخصوصية ،وجدلية ما يكتب عن قضايا العصر برؤيا مغايرة لما سلف طبعا ، فالمتأمل فى حجم الانتاج الفكرى منذ ميلاد المجلة الى اليوم ، يدرك بالاصالة ثمرة التعاون بينها وبين غيرها من المجلات التى بدأت السير ثم تعثرت ، أو التى بقيت توالى الجهد ومشاق الدرب طويلة ، ثم مع ما نشر من

(2) أعني أسرة المجلة وبالتالى قطبها المفكر الاستاذ محمد مزالى الذى نحت هيكلة المجلة ، وأدار فلكها فلسفيا ونفسيا .

مجموعات قصصية ، ودواوين شعرية ، ودراسات مختلفة ، لكن تميز « الفكر » بهدف المنافسة الشريفة والنبيلة ، أفردها بخصائص الفعل الحضاري - في نظري - وبأن تكون واعية لافرازات المحيط وما يتطلبه من طاقات متزامنة مع تطور المجتمع التونسي وتوقه الى الافضل ، ذلك ان ميلاد - المجلة - ، قد شهد بداية الاحساس بالوعي الفكري والثقافي ، فهذه المحاضرات تعود الى غزارتها ، والنوادي الثقافية تزخر بأنشطتها (3) .

ثم هذا الاعتزاز بالتراث جملة وتفصيلا ، ثم تسليط المعاصرة عليه وفق نظرة موضوعية بحتة ، وتجسم ذلك - علاوة - على نشر عينات قيمة ، اقتحام مجال التأليف المسرحي أي ظهور نزعة تجديدية بواسطة استنطاق التراث وتعصيره انطلاقا من التعامل المسرحي الذي يستند الى الاصول الجوهرية فبرز في هذا الاتجاه العديد من الكتاب من خلال المنطلقات التي دعمت جذورها مجلة - الفكر - بتشجيعها للادباء الشبان ويستخلص من توجهها رؤية ثقافية عالية ووقفة موضوعية سواء بحمل مشعل - التعريب - كعلامة فكرية فاعلة ، أو باحتضان تجارب الجيل فيما سمي في الشعر ( بين العمودي والحر ) حيث اسهمت المجلة باتاحة الفرصة للتعبير الموضوعي في القضية أو في غيرها من قضايا الثقافة والفكر ، أو في الدعوة الى اعطاء «الادب التونسي» مكانة ممتازة في المناهج التعليمية عندنا ، وبعبارة أوضح استطاعت - الفكر - أن تكون بحق مجسمة للمسيرة التحررية المعاصرة مع التشبث بالاصالة عقيدة ومنهجا .

وبظهور شقيقتها « قصص » (4) امكن لها معها مواصلة الجهد النضالي لتجذير السمات الثقافية عبر الانماط والاشكال المتميزة في الفكر التونسي المعاصر في شتى مجالات الخلق والابداع في ( النصوص المختارة ) والروايات والقصص ، والفنون التشكيلية والمسرح وثقافة الطفل ، والدراسات العلمية والادبية وما الى ذلك .

---

(3) على سبيل المثال - لا الحصر - ميلاد - النادي الثقافي ( أبو القاسم الشابي ) في الستينات ، وقد دشنه فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة .

(4) مجلة « قصص » المنبثقة عن نادي القصة بتونس ، النادي الثقافي « أبو القاسم الشابي » في سبتمبر 1966 .

ان مجلة « الفكر » كانت حريصة كل الحرص على تنمية علاقاتها الفكرية مع الشقيقات التي تولد بين الحين والآخر - كما اسلفت - وقد سجلت مولد مجلة ( قصص ) بشيء من الغبطة المتبوعة برغبة صادقة في قهر المستحيل اذ جاء في تحيتها يوم بروزها ما يلي :

« بادرة طيبة هذه التي أقدم عليها « نادي القصة » والتي تتمثل في نشر مجموعة من القصص كل ثلاثة أشهر يقع تدارسها في جلسات متعددة .. وليس ابعث على التشجيع وتغذية المواهب من نشر انتاج قصاصينا واشاعته بين الناس .. أليست القصة هي التي اصبحت في عصرنا تعبر بأكمل صورة عن آلام الانسانية وآمالها .. وأخيرا فنحن نتمنى لها النجاح في درب الادب الاصيل العنود ! » ديسمبر 1966 .

ان المتتبع الفاحص لآثار هذه المجلة الرائدة ، وتحديد موقعها من الحركة الفكرية التونسية يستطيع ان يثري الانتاج الادبي عامة وان يقدم للثقافة التونسية أعظم الخدمات لا سيما في ضوء المستجدات التي تنشر الابداع ، وتطبع حياتنا الثقافية بالتنوع والمؤانسة ، ترى ، هذه دعوة فكرية لمن يريد ان يكتشف بعض الجذور العميقة في هذا الطرح الحضاري الذي يتواصل مشواره كل حين ولنا عودة !

**يحيى محمد**

نتشر في الاعداد القادمة

**التذكرة السعدية في الأشعار العربية**

تأليف : محمد بن عبد الرحمان بن عبد المجيد العبيدي

تحقيق : د. عبد الله الجبوري

عرض : يوسف الحناشي

الى روح الشابي

# الدّخولُ في البَوْح ..

شعر: بدوي راضي
(القاهرة)

نتلاقى في معبد الوجد نخلاً ..
باسقَ الطلع ، عبقريَّ المحيّا ..
تحمل الريح طرحه للبوادي ..
ثمرًا طيبا .. ونبتا عنيداً ..
يحفظ الودّ .. يكتب الظل شعرا ..
.. وارف الصدق مَطْلعا .. ورويا ..

* * *

ندخل البوح — مثقلين بحمل ..
نسجت فوقه العناكب بيتـاً ..
ورمته الظنون من كلّ فجّ
حولت جمعه القديم شظايا ..
نتلظى بها .. ومازال حيّا ..

* * *

ندخل البوح .. من لنا بطريقٍ !!
فجميع الدروب أضحت تكايا ..
عشّش البوم سقفها وحصاها ..
ومحا الذلّ وجهها العربيّا ..

* * *

ندخل البوح من أنين سواقٍ ..
لوثوا ضرعها .. ومازال يعطي ..
— حين نأتيه ظامئين حيارى —
لبنا سائغا .. ووعيّا أبيّا ..
ندخل البوح من سقوط رؤوس ..
خططت جنبها أكفّ الأفاعي ..
توّجتْهَا بسمها .. ورمتها ..
فمشى الرعب في الديار طليقا ..
واتخذنا من الحواةِ نبيّا ..

* * *

ندخل البوح تركض الخيل فينا ..
نلمس القيد نستحيل رنينا ..
يصبح الصمت منطقـاً ورؤانا ..
واقعا آسنا .. وحلما عصيّا ..

* * *

ندخل البوح — يا شهابا تجلّى ..
في سماواتنا فأيقظ فينا ..
رغبة البعث ،، عنفوان التحدي ..
فحفظناك حكمةً .. وبيانـاً ..
.. وأضعناك حاديـاً ثوريا ..

* * *

ندخل البوح أصطفيك لوجدي ..
وأُعرّى أمام عينيك جرحي ..
نازفا رؤيتي ، شرود حروفي ..
باحثا – خلف بسمة منك تغري –
عن بريق المنى يُطلّ عليّا ..

* * *

ندخل البوح .. هل لديك جديد ؟
يبعث الدفء في شرايين قلبي ..
ويعيد الذى طوته الليالي ..
أملاً باسمـًا .. وصبحا نديا ..

* * *

بـدوى راضـى
(القاهرة)



من قصائـد الاعـداد القادمـة

| | |
|---|---|
| لمـاذا .. ؟ | سمير الخيـارى |
| ولادة فى زمـن الهروب | حسن عـبد الله |
| بحـر الحـب | محمود عبد العزيز عامر |
| محاولة أخيرة للبحث عن قرطبة | ناصـر العيـارى |
| البعـث | زينـب أبو النجـا |
| تـونس الأمـل | محمد أنور الطنبارى |
| الفراشـة والاطفال | عبد السلام الدرقاش |

# مِن المخطوطات الموسيقية

بقلم: د. محمود قطاط

ان الكشف التاريخي لموسيقى المغرب العربي الكبير (*) لم يحظ بعد بالاهتمام الكافي . واذا ما استثنينا بعض المحاولات التي لا تخلو من أهمية . فهو غالبا ما يقدم في الاطار العام لتاريخ الموسيقى العربية وكانه مجرد مستهلك للانتاج الموسيقي المشرقي والاندلسي .

غير ان الحقيقة في هذا المجال ليست بهذه السهولة . فالمغرب العربي الكبير قد ساهم مساهمة فعالة في اثراء الحضارة العربية الاسلامية وقد عرفت مختلف مراكزه الثقافية حركة موسيقية عارمة كان لها دور أساسي في انشاء المدرسة الاندلسية واثرائها فيما بعد .



ومما يؤسف له .. قلة الوثائق المكتوبة التي وصلتنا في هذا المجال وذلك ليس لانعدامها بل لان معظمها قد اتلف واندثر اثر حوادث واوضاع مختلفة . لذلك فان جل المدونات الموسيقية المغربية التي بين ايدينا وصلتنا عن طريق النقل الشفاهي في صورة ( سفائن ) أو ( كناشات ) تتضمن غالبا دواوين شعرية جمعت فيها نصوص صنائع النوبات أو غيرها من التراث الغنائي المتداول ومن هذه المجموعة الصغيرة لم يكن حظ الدراسات النظرية والتقنية الصرفة ذا بال يذكر ... وهي على قلتها لا تزال في شكل مخطوطات مودعة في رفوف المكتبات العامة والخاصة يصعب بل يستحيل غالبا الوصول اليها والتعرف على مضمونها .

---

(*) تقديم لبعض المخطوطات حول التراث الموسيقي للمغرب العربي الكبير ( وبصورة خاصة مخطوط التيفاشي : «متعة الاسماع في علم السماع » ).

وأمام هذا الفراغ يتحتم على الباحث الاستعانة بمعلومات مشتتة يجتهدفى جمعها من هنا وهناك من بعض المصادر التاريخية والادبية وغيرها .. مع وجوب التنسيق بين اجزائها ومقارنتها بالاحداث السياسية والاجتماعية والدينية والعقائدية التى طرأت على المجتمع المغربى كما يستوجب ربط هذا التراث المغربى بالتراث العربى الاسلامى فى مختلف أطواره .

ونظرا للطابع الشفاهى الذى يغلب على هذا التراث فانه لمن الضرورى ان نتوخى أسلوب مقارنة الحاضر بالماضى . أى أن نحاول اتمام بعض النقائص فى مراحل موسيقانا وشرح النواحى الغامضة فيها اعتمادا على الواقع الحالى لهذا التراث الامر الذى يستوجب دراسات جادة ومتعمقة لكل العناصر والمميزات المكونة له . ذلك مع تقييم كل الاعمال التى انجزت حتى الآن فى هذا المجال كما وكيفا . ووضع بيبليوغرافيا عامة لكل المراجع المعروفة المخطوطة منها والمطبوعة لا الموسيقية فحسب بل وكذلك الادبية والتاريخية وغيرها مما تعرض من قريب أو بعيد لهذا التراث الموسيقى الزاخر . والجدير بالذكر اننا دخلنا والحمد لله فى مرحلة جديدة يمكن نعتها بالايجابية وذلك بما تعتمد عليه من منهجية علمية وموضوعية ومصادر هامة وقع اكتشافها فى السنين الاخيرة ونتعرض هنا الى البعض منها :

1) ـ **أبو الصلت امية بن عبد العزيز الدانى (460 ـ 529هـ/ 1067 ـ 1134م):**

له « **رسالة فى الموسيقى** » . لا نعرف عنها الا ترجمة رديئة الى العبرية موجودة بمكتبة باريس الوطنية (1) ويستفاد من هذه الترجمة ان الرسالة عبارة عن تلخيص للجزء الاول والثانى بمقدمتيهما لكتاب « **الموسيقى الكبير** » للفارابى المتوفى سنة 339 هـ / 950 م . ومن المفيد ان نشير هنا الى ان المؤلف يورد مصطلح قانون ( الفقرة الاولى من الباب الرابع المتعلق بدراسة الآلات الموسيقية ) للدلالة على آلة ذات أوتار مطلقة من نوع الصنج . وهو مصطلح ـ اذا ما استثنينا كتاب « **ألف ليلة وليلة** » ( من الليلة 49 والليلة 149 ) لم يستعمل فى مصادر المشرق العربى الا فى القرن الرابع عشر تقريبا ضمن كتاب « **كنز التحف** » القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . والذى وصف الآلة وصفا ضافيا . بينما نجد عند الفارابى (معزفة أو صنج) ،

(1) المكتبة الوطنية بباريس الرصيد العبرى عدد 1037 ورقة (1 ب ـ 20 ب) . فيما يتعلق بأبى الصلت انظر : **ديوان الحكيم** .. جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقى ، تونس 1974 .

وعند ابن سينا المتوفى سنة 428 هـ / 1037م ، وابن زيلة المتوفى سنة 440هـ / 1408 م كلمة ( الشهر ود والعنقا ) وكانت آلة القانون مـألوفة فى المغـرب الاسلامى ، ويصنفهـا الشقنـدى المتوفى سنة 629 هـ / 1232 م بين الآلات الاندلسية المصنوعة فى اشبيلية .

**ب) ـ محمود بن محمد سـيالة الصفـاقسى القـادرى ( كان حيـا سنة 1265 هـ / 1869 م ) :**

له كتاب بعنوان « **قانون الاصفياء فى علم نغمات الاذكياء** » (2) .

وهذا المخطوط يعتبر وثيقـة هـامة بالنسبة للموسيقـى المغـربية عموما والتونسية على وجه الخصوص وهو يحتوى على مقدمة وتسعـة أبـواب وباب عاشر فى شكل ملخص عام . ويتضمن معلومات ثمينة عن الموسيقى وأصولها وطرق تعليمها وعلاقتها بالشعر والطب والفلك وعن مدى تأثيرها وآلاتها وعن موقف الاسلام تجاه الموسيقى والموسيقيين وعن أوصاف المغني النموذجى وعن الطرائق اللحنية والايقاعية والتلحين .. الخ وزيادة على هـذه الفصول الـتى استوحاها المؤلف من مختلف المراجع السابقة .. فـان المخطـوط يتضمـن معلومات وافية عن العود المغربى من حيث صنعه وطـرق تعـديله وجـدول دساتينه .. وكذلك عن مميزات الرصيد الموسيقى لدى بعض الطـرق وخاصة القادرية التى كان ينتمى اليها المؤلف وكذلك الرصيد الشعبى كما انه يقـدم لنا دليلا هاما يتعلق بالمصطلحات الخاصة بالموسيقى وبالآلات حسب استعمالها من قبل العلماء والصوفيين والعامة وهو يرجع كل مصطلح الى أصلـه العربى أو الفارسى أو التركى أو الاغريقى . والمخطوط يحتوى على ثلاثة رسوم بيانية للعود المغربى مع موضـع النغمـات ( الباب 5 ، ص 25 . والباب 6 ، ص 30 و 32 ) وكذلك رسم لدائرة الضرب ( الباب 9 ، ص 50 ) ورسمين لشجـرة الطبوع تشبه الى حد كبير ما نجده فى بعض المراجع المغربيـة الاخرى وهـو

(2) توجد نسخة بمكتبة العراقى ببغداد عدد 2276 (1) 60 ص حجم 21 × 15 سم واخرى ـ يبدو انها مسودة ـ بالمكتبـة الـوطنية بتـونس عـدد 19241 ، 61 ص وفى نفس الحجم وهى رغم ما تحتوى عليه من تشطيبات تكمل الاولى التى ينتقص منها الجزء الاخير من الباب التاسع والباب العاشر بأكمله . واذا ما أضفنا هذه البقية للنسخة الاولى يصبح هذا المخطـوط يحتوى على تسعة وستين صفحة (69) .

تشابه يكاد يكون حرفيا احيانا مثل المخطوط الذى تناوله فارمر فى كتابه « **معلم عود مغربى** » والذى وضع له عنوان « **معرفة النغمات الثمانى** » وكذلك كتاب ابراهيم بن محمد التادلى المتوفى سنة ١٣١١ هـ / 1894 م : « **أغانى السيقا فى علـم الموسيقى** » والبوعصامى ( القرن الثانى عشر هجرى / الثامن عشر الميلادى ) فى الترجمة التى وضعها له محمد بن الطيـب العلمى فى « **الأنيس المطـرب** » .

ومن بين ما يتضمنه هذا المخطوط :

- ثلاثة رسوم بيانية المشار اليها للعود مع الاوتـار الاربعة وموضع الاصابع مشيرا اليها بأرقام عربية .
- شرح للاصــوات الثمانية فى السلم المستعمل وقـد رمـز اليهـا بالأحرف الثمانية الاولى من الأبجدية العربية : ( أ ـ ب ـ ج ـ د ـ هـ ـ و ـ ز ـ ح ) .
- طريقة تعديل العـود وكيفية مرافقة الغناء بالاعتماد على مختلف تفعيلات الشعر وأخيرا الطبوع الاربعة والعشرون خمسة أصلية و ١٩ فرعية وقد صنفت وفق شجرة الطبوع .



وهذه أوتـار العـود المغـربى : * ـ أ : البم قديما **أصبع الذيل** .

* { ـ ب : **المثلث قديما أصبع الماية** .
ـ ج : **الاصبع الاول** .
ـ د : **الاصبـع الثالث** . }

* ـ هـ : **المثنى قديما أصبع الرمل** .

* { ـ و : **الزير قديما أصبع الحسين** .
ـ ز : **الاصبع الاول** .
ـ ح : **الاصبع الثالث** . }

ويؤكد سيالة انه يوجد بعد طنينى بين الذيـل والمـايـة .

وبعد بالاربع بين الماية والحسين .

وبعد طنينى بين الرمل والحسين .

وما جاء بالنسبة للعود يؤكد استعمال السلم الطبيعي الدياتوني فيالموسيقى المغربيـة (3) .

وقد وضع المؤلف كتابه فى مقدمة وعشرة فصول هى :



(3) لمحمود سيالة مؤلفات كثيرة ( 22 كتابا تقريبا فى ميادين عديدة كالطـب والتصوف والادب والعـروض والمـوسيقى والفلـك ... ) نذكـر منهـا هنـا اثنيـن :

ج) ـ **متعة الاسماع فى علم السماع لأحمد التيفاشى القفصى :**

★ **القيمـة الوثـائقية والفـائدة :**

مخطوط « **متعة الاسماع فى علم السماع** » يقابل الجزء الواحد والاربعين من موسوعة ضخمة فى مختلف العلوم والتاريخ والادب ، عنوانها : « **فصل الخطاب فى مدارك الحواس الخمس لأولي الالباب** » ويعالج كل جزء منها علما خاصا أو فنا بذاته يعلن عنه ثم يقدم له بعنوان ومقدمة . وهذا المخطوط من بين الاجزاء القليلة التى وصلت الينا ، وهو خاص بالفن الموسيقى ويشتمل على 47 بابا جاءت فى 187 صفحة ، كلها غنية بالمعلومات الهامة عن الموسيقى والغناء والآلات الموسيقية والرقص والشعر وغير ذلك .

★ **من مميزات هذا المخطـوط :**

◆ **انه** : الاثر الموسيقى الوحيد الذى انتهى الينا من العصر الحفصى .

◆ يقدم لنا صورة ضافية عما كانـت عليه صناعـة الغناء فى المجتمـع العربى منذ ظهور الاسلام حتى عهد المؤلف مع التركيز بصورة خاصة على المغرب والاندلس وهو بذلك ينفرد عن غيره من المراجع .

◆ يتضمن وصفا وافيا لآلة العود والرباب والارغن ويعطى معلومات هامة وفريدة من نوعها عن فنون الرقص والارتجال وقـوانين الالحـان والايقاعات وعن خاصيات النوبة المشرقية والمغربية والاندلسية وعن العود العربى وعن طـرق الاداء كما يكشـف لنا عـن اهميـة بعض الموسيقيين غير الواردين فى المصادر الاخرى مثـل ابن حاسب وابـن



---

ـ « **رسالة فيما يلزم المنشد فى معـرفة للقواعـد المـوسيقية** » : فى 9 صفحات حذف من أولها وآخرها . ويطابق فحواها تقريبا ما نجده فى آخر الجزء الثالث من مخطوط آخر يتعلق بالطريقة القادرية بعنوان : « **تلقين المقالات الادبية فى معرفة الطريقة القادرية** » فى 286 صفحة . انظر المكتبة الوطنية بتونس رقم 242 19 و 223 19 . فيما يتعلق بمحمود سيالة ، انظر محمد محفوظ فى مجلة « **الفكـر** » عـدد 3 ، ديسمبر 1962 ، ص 55 ــ 59 ؛ محمود قطاط : **الموسيقى الكلاسيكية بالمغرب العربى الكبير** ( بالفرنسية ) ، باريس 1980 ، ص 183 ــ 185 ونظرية الايقـاع الموسيقى عـند العـرب ، **الحيـاة الثقافيـة** ، عـدد 22 و 23 سبتمبـر ــ اكتوبـر 1982 ، ص 90 ــ 107 .

حمارة وغيرهم من فنانى المغرب والاندلس . يعتمد على مراجع هامة كمؤلفات الكندى والفارابى واخوان الصفا . وأخرى أقل شيوعا مثل « **حاوى الفنون وسلوة المحزون** » لابن طحان المصرى ( القرن الخامس الهجرى / القرن الحادى عشر ميلادى ) وغيره .

والمعروف من مخطوط التيفاشى نسخة وحيدة توجد بالمكتبة الخاصة لفضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بالمرسى . وهى مسودة بها اضطراب شديد فى الكتابة بل العديد من الصفحات مكتوبة فى شكل رموز بخط ردىء غير واضح مع اختلاط الاسطر واثر المحو والتغيير والحاق حواش وغير ذلك مما يجعل كتابة هذه النسخة المسودة وتقويمها عملا مضنيا وعسيرا .

⋆ **كيفية التحقيق :**

لانجاز هذا العمل يجب اعتماد المنهجية الخاصة بتحقيق المخطوطات بمختلف مراحلها ونوجزها فى ما يلى :

ــ توثيق نسبة الكتاب للمؤلف مع ضبط اسم هذا الاخير وكذلك ضبط عنوان الكتاب والتأكد من عدم وجود نسخ اخرى والرجوع الى مختلف المراجع والفهارس التى تعرضت بطريقة أو بأخرى الى هذا المخطوط أو لمؤلفه .

ــ كتابة النسخة مع العمل على تقويم النص وتعديل واصلاح ما طرأ عليه من سهو وحذف وتحريف أو خطأ مع مراجعة التصحيف ومقابلتها بالمراجع التى اعتمدها المؤلف ونذكر من بينها :

- رسائل الكندى فى الموسيقى .
- **كتاب الموسيقى الكبير وكتاب المدخل الى صناعة الموسيقى** ، للفارابى .
- **رسالة** اخوان الصفا فى الموسيقى .
- **كتاب الأغانى** ، لأبى الفرج الاصبهانى .
- **كتاب الادوار والرسالة الشرفية** ، لصفى الدين البغدادى
- **حاوى الفنون وسلوة المحزون** ، لابن الطحان المصرى ...

ــ الحرص على اضافة كل التعليقات والاضافات الضرورية وتراجم الاعلام وشرح المصطلحات العلمية والفنية وما يتبع ذلك من تهميشات وفهارس وكشوف .

ـ وضع مقدمة تتضمن تعريفا ضافيا بالكتاب وبمؤلفه مع ابراز مختلف النواحي المنهجية والعلمية والفنية .

ـ اثبات المصادر والمراجع المعتمدة .

★ **المؤلف** : التيفاشي القفصي ( أحمد بن يوسف ) .

هو أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبى بكر بن حمدون بن حجاج القيسي ، شرف الدين ، وتنسب أوائله الى بلدة ( تيفاش ) الكائنة الآن بشمالى عمالة قسنطينة من القطر الجزائرى .

ولد بقفصة بالبلاد التونسية سنة 580 هـ / 1184 م حيث استقر أجداده وآباؤه من زمن بعيد وزاول جانبا من تعلمه بها ثم انتقل الى مدينة تونس لتلقى العلم بجامع الزيتونة واشتغل بالادب والعلوم والرياضيات وبرع فى ذلك كله .

ثم ارتحل الى الديار المصرية ودرس بها وتفنن على موفق الدين عبد اللطيف البغدادى الطبيب المشهور .

تحول الى دمشق وقرأ على تاج الدين الكندى .

ثم رجع الى تونس حيث ولاه أبو زكريا الاكبر أول ملوك بنى حفص ، خطة القضاء ببلده قفصة .



ترك الوظيفة وتوجه ثانية الى المشرق وتجول فى انحائه فدخل العراق وبلاد فارس .

ثم عاد الى مصر واستقر نهائيا بالقاهرة فى حدود سنة 630 هـ الى ان توفى سنة 651 هـ / 1253 م .

اشتهر التيفاشي بسعة العلوم والرواية ووفرة الادب والاطلاع الكبير على الكتب قديما وحديثا . وكان يقرض الشعر بسرعة غريبة . له مصنفات عديدة لم يصلنا منها الا النزر القليل وهى غزيرة المادة متنوعة المواضيع .

وكما يقول المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب :

« يعتبر التيفاشي من جلة علماء القرن السابع الذين جمعوا اشتات الآداب العربية والمعلومات المنبثة فى مصنفات من سبقهم ، ودونوها فى مجامع ضخمة قامت مقام دائرات المعارف العصرية ، فكانت المرجع الكبير لمن جاء بعدهم من الباحثين الى يوم الناس هذا فهى بلا شك مفخرة دائمة للعلوم والتاريخ والادب والفن » .

**المصادر المتعرضة للتيفاشى :**


– ابن فرحون : **الديباج المذهب** ، ط مصر ، ص 74 .

– السخاوى : **الاعلان بالتوبيخ** ، ص 162 .

– النواجى : **حلبة الكميت** ، ص 20 .

– حاجى خليفة : **كشف الظنون** ( فى أماكن كثيرة ) .

– **فهرس** مكتبة باريس ، ج 2 .

– **المجلة الآسيوية الفرنسية** سنة 1828 : ص 5 وما بعدها .

– بروكلمان ج 1 : ص 495 .

– **معجم** سركيس ، ص 651 .

– حسن حسنى عبد الوهاب : **ورقات** ، ج 2 ، ص 225 و ص 230 و ص 448 – 460 .

وهذه الصفحات الاخيرة ترجمة للتيفاشى كانت قد نشرت فى مجلة « **الفكر** » ، عدد 9 ، جوان 1959 ، ص 816 (4) – 822 (10) .

– ابن تاويت ، **مجلة الابحاث** ، ج 21 ، عدد 2 و 3 و 4 ، بيروت ( ديسمبر 1968 ) .

– محمود قطاط : نظرية الايقاع الموسيقى عند العرب ، **الحياة الثقافية** ، عدد 22 و 23 سبتمبر – أكتوبر 1982 ، ص 90 – 107 .

— GARCIA GOMEZ (E) : Une extraordinairia pagina de TIFASI y una Hipotesis sobre el inventor del Zegel, in *Mélanges LEVIPROVENÇAL,* Paris 1962 pp. 517-524.

— Id. : *Todo Ben quzma,* Madrid 1972, T. III pp. 305 — 308.

— GUETTAT (Mahmoud) : *La Musique Classique du Maghreb,* Paris — Sindbad 1980 (P 138, 168, 181, 182, 214... etc.)

— Id. *La musique andalouse et ses prolongements contemporains au Magreb* (Thèse de Doctorat, PARIS-SORBONNE IV, 1977).

— Id. Note sur les caractéristiques de la musique arabo-andalouse, in *XXXIè Congrès Mondial de la F.I.J.M,* Séville 5 — 12 Juillet 1981.

— VILLANUEVA (Fr. Jayme) : *Viaje literario a las Iglesias de Espana,* 2 vol., Madrid, 1809 - 1852 (tome XI).


( يتبع )

**د. محمود قطاط**

# حذائي في الماء .. ويحترق !

شعر : الصادق شرف
( ابو وجدان )

[ الى عشيقة وهران .. عائشة فى وجدانى ]

الماءُ يجسِّمها لي أغنيةً .. أتلعثمُ حينَ أغنّيها !
أحتارُ ، تُرى ماذا أتعشّقُ فيها ؟
والليلُ القادمُ — في موعدها — يُغريني بالأرقِ ..
والبَحرُ الصاخبُ — في عينيها — يُغريني بالغرقِ ..
يُغريني الصيفُ المتوزّعُ في بَيْدَرِهَا باريج الحَبَقِ ..
يَدُهَا العصفورةُ تبْني لي قَفَصًا بين يَدَيْهَا
لكنّ العصفورَ الخافقَ في جنبيّا
قد خفّ إليَّ .. وَهَمّ بفتح القفصِ !
لا تفتحْ نافذتي لهروب المستقبلْ
ما بين الإغلاقِ وبينَ الفتحِ .. ألاَ فادْخُلْ أنتَ معي ..
فالفرصةُ سانحةٌ .. يكفي ما ضيّعتَ منَ الفُرَصِ !
تُغريكَ بقصة حبٍّ آخرَ لا عنوان لها ..
غيرُ « فُصُول الوَجَعِ ! »
تُغريكَ بتَرْكِ الشعرِ .. وتشجيرِ شواطِئها بالقِصصِ
القِصّةَ من آخرها ابتدأتْ ..
تتعقّدُ ، في أولها قُفْلٌ مِنْ غيرِ حلولْ
وفتحتَ شفاهـك قُلْتَ لها : — « معك العمرُ يطولْ ! »

قُلْتَ لها : – « أسقطتك من عقدة أيامي ؟
فدَعيني لأُوَتِّدَ خيْمَةَ أيامكْ ؟ »
أتقولُ لها : – بالرّغم من الحزن أراني بكِ مبتهجـاً جدّاً ...
لأحاصر بالحبّ توحُّشَ آلامِكْ ؟

* * *

بالرغمِ من الوحشةِ – يا عصفوري – تبدو لي فرحـاً جدّاً
لكأنَّ الفرح الدّائم يغريك بأن لا تطأ الأرض بأقدامكْ
بالرغمِ من اليقظة إنك ساه .. ساه جدّاً !
لكأنَّ اليقظة جاءتْ لتعقّد مَنْسج أحلامِكْ ..
بالرغم من الألقِ الدافقِ ورديّا في سرعةِ إيماءهْ
ها إنك تغرقُ في الضوءِ .. وتطفو عيناك بغيرِ إضاءهْ
ما كان وراءك طيفـاً .. أشباحـاً أصبح قدّامكْ
كغيوم صفراءَ يُلاشيني العاصفُ بين ضبابِ الشفقِ
ويُلاشيكَ شراعـاً في جزرٍ لا يعرفُ : كيف يعود ؟
الدهشة آتيةٌ ، فلتتعدّدْ .. مِنْ غيرِ حدودْ
لِمَ لَمْ تتَعَدّدْ يا عصفوري ؟
أنتَ – إذنْ – ساه جدّاً كالأمطارْ .!
فَرِحٌ جداً كالأزهار .!
قَلِقٌ جدّاً .. كالأوتار .!

* * *

إني من نافذةِ الأرقِ
اشرفتُ عليكَ – وما أشرفتُ على غيري – لأراكْ
وأراني منتفيا خلفكَ في سهوِي ..

ذاكرتي تنبُش (وجْدَهْ) (*)
مُنفصمٌ فيكَ الثابتُ مني في حبّي لعشيقةِ وهْـران
تاريخي شطرانْ :
هذا يتهدمُ خلفكَ كالطائرِ ..
في البحر الغامرِ خلفَ صِغارِ الأسماكْ .
والآخر مثلي محترقٌ تحت الماء ويحرقني ..
الآخرُ خلفهُ يغْرَقُ مجدافي وشراعي
يا الآخَرُ ارْحمني .. لِمَ حيَّرْتَ بُحيْرَةَ أوجاعي ؟
البجعاتُ اللائي كُنَّ يزُوبعنَ مَعَ الحبّ صراعي
فارقْنَ تضاريسي من غير وداعي
ما أبقين بها إلا مَصْرُوعينِ اثنين : النايُ مع الراعي
إن تقو على إرجاعِ البجعات فانك – ( لا تقوى )
اليومَ على إرجاعي
فأنا قد ضُعتُ .. وضيَّعتُ (عشيقة وهرانْ)
وتعودتُ على عيش ضياعي
(عائشة) في خلدي البجعات أحدُّهن .. فيرفضن سماعي

* * *

بَعْدَ الرقص ..
وبعد القصفِ ..
وبعد الزهو ..
وبعد اللهوِ بأشواقي
ما ذنبي – يا قلبي – تطفىءُ بالضوء الغامق أحداقي ؟!

(*) وجدة : مدينة مغربية على الحدود الجزائرية .

منطفىء أنت من الحاضرِ .. أنتَ من الماضي مشتعلٌ جداً
تمضي في ركب الرّيح ، ولا تلوي الأرضُ عليك أناملها
تطويها فارغةً جدّاً .
وتعودُ فتبْسُطها فإذا أنتَ بها .
لا شيء ، ولكن عشيقاتي
يغريهن الشاهقُ من حيطان حياتي ..
يتسلّقْنَ إلى فجواتي بالألقِ .

* * *

في الفجوةِ محفوفٌ رأسي بذراعي ..
رأسي محفورٌ في قامة أوجاعي
السبع سماوات تتراءى لي كصحون الدّمْيَة ،
أحلامي كجيادِ البرقِ تجوبُ سماء الدنيا ..
إذ ينطفىء الفلَقُ .
ما أضيقَ هذي الدنيا إذ يتسعُ القلقُ ! ؟
تتوجّعُ كلّ الأشجار .. وتبدأ في تبليل مناديلي ..
تبدأُ في تبديل فوارسها الخيلُ ،
ويميلُ بها الليلُ ..
يحتدّ بها الميلُ .. فأنبثقُ ..
انبثقوا يا فرسانَ الورد من الأرض .. الأرض سمائي
إني فارسها الآزفُ لن يبرُدَ تحتَ كسائي العرقُ
باردةٌ صهواتُ الخيلِ ، ولكنّ حذائي
في الماءِ ، ويحترقُ .

تونس : 10 / 2 / 1985
الصادق شرف

# وعد شهرزاد لبلقيس

قصة : زكية عبد القادر

تنتاب الانسان فى حياته حالات يرجع فيها بفكره الى نفسه . وقد لا يستوحش من العزلة فيجد فى ترك المدينة والناس متعة . إنها متعة من يستبطن ذاته ، ويسائل وجدانه ، ويستنطق قلبه وتراث قومه .

هكذا اهتديت الى شهرزاد وقد عشت معها زمنا ، وكان اهتدائى اليها بما حدثنى به عنها أستاذى المنجى الشملى . وما كنت لأكتب هذه القصة لو لم أسمع منه حديثا كان لى إلهاما ومنهلا .

فهل يقبل منى هذه القصة هدية عرفان وتقدير ؟



حدثتنا بلقيس عن قصة إبحارها والتقائها بشهرزاد قالت :

سئمت غربتى ، فخرجت أطوف رفقة وجدانى فى بلاد المشرق والمغرب علني أجد الصديق الموافق ، فراعنى أن رأيت المشرق والمغرب يتغامزان علي هامسين : « غبية هى تجرى وراء سراب خلب ! » .

مللت ضياع نفسى فى الانفاق المظلمة ، فاقبلت على أترابى أستنهضهم لاسترجاع مجد آبائنا ، والاستنصار لهويتنا ، والتخاطب بلسان قومنا ، فوجدت الاتراب يعرضون عنى ، ويسخرون منى قائلين : « نحن على سنة عصرنا ، فلا تنغصي حاضرنا بماضى الغابرين » .

كرهت الخداع ، والنفاق كرهت ، والأكاذيب . فهرعت الى الغاب أنشد فيه الصفاء ، والصدق ، والطمأنينة ، لكن الغاب ضحك مني وصرخ فى وجهي قائلا : « الشر غالب مهما كان الخير منيعا » .

دخلت المدينة أرفل فى موكب الطموح ، فاعترضنى حراسها ، وأوقفونى ، ونادوا آمرين : «اجلدوا الطموح ، وشتتوا الموكب» .

صمدت فى وجه الحراس ، وقلت ساخرة ، متحدية : « لن تكبح مدينتكم جماح نفسى ، ما دام المجد مبدئى ، والوعى ديدنى » .

ضاق صدرى ، وعيل صبرى ، واختنقت أنفاسى ، فخرجت تاركة المدينة ورائى أبحث عن ملجئى فى البحر . أطلقت الزورق ، ودخلت اليم ، وأوكلت الامر للشراع وللفكر .

اليم من حولى هادىء ، شاسع ، عميق ، والزورق يسير بى فى غبطة وجذل . اليم هالة من بلور تكتنفها الدعة وتسودها الرهبة . اليم عالم الاغوار ، ومقر المجاهل حيث لا خوف ولا خمول .



موج اليم ، ونسيم الصباح يهدهدان كيانى ، ويسموان بى الى مراتب الصفاء والبهجة . أحس وأنا بين أحضان الزورق النشيط بالراحة تتسرب إلي شيئا فشيئا . إنها راحة الهروب من عالم الناس ، راحة الابحار والاقلاع عن دنيا الغش وأرض النفاق . إنها راحة البحث عن الاستشفاء والنجدة .

وتصمت بلقيس الراوية ساعة ، وتغمض جفنيها كأنها تستسلم الى الذكريات ثم تقول :

وبينما كان الزورق يسير بى ، رأيتنى أخاطب اليم مستنجدة به قائلة :

«أيها اليم ،

أنا الآن منقطعة عن البر ، ولا أنيس لى غيرك ، فليتك تفتح لى ذراعيك وتضمنى الى صدرك . ليتك تدفعنى الى حيث ترتاح نفسى ، ويهدأ خاطرى . إن توقى لشديد الى ذلك الربع ، حيث يطيب العيش ، ويتألق الفكر ، وتسمو القيم ، وتقيم صديقتى الفاتنة الذكية ، النبيلة الابية ، الاصيلة العربية . صديقتى يا بحر كالهلال أطل على الشرق زمنا ثم ارتحل عن موطنه وحل ببلاد قصية . صديقتى يا بحر هى بسمة العاشق وأمل المحروم . هى مصدر وحي الشاعر ، وينبوع الهام الفيلسوف . هى الحب الكبير بعنفه وجماله ،

بسطوته ودلاله ، بطهارته وكبريائه .ليتك تأخذني اليها يا بحر ، ليتك تقربني منها ، لان في القرب من الصديق تعزية وأمانا .

شهرزاد ، يا أنت ، يا صديقتي ،

أراني أسائل اليم عنك وفي دخيلتي شوق وحنين ٠ أين أنت ؟ أين تتوارين ؟ ، ألا يزال حدادك على شهريار يفوق لديك كل اعتبار ؟ ، ألا فاخلعي عنك ثوب الحزن يا صديقتي ، وتعالي . إن روح شهريار لا تنفك تدعو لك . ألست أنت التي أخرجت الملك اليائس شهريار من الظلمات الى الانوار ؟ ، فأنا يا شهرزاد ، لن أنسى فرحة شهريار يوم كان يطوقك بذراعيه ، مقبلا وجنتيك ، ماسحا على شعرك الحريري ، قائلا لك : « ألم تجديني جاهلا فعلمتني ، وتائها فهديتني ، وفضا غليظ القلب فأدبتني وأحسنت تأديبي ؟ فالملك الضال الذي كنت ، قد ثاب اليه رشده ، وعاد اليه إيمانه ، وعلى يديك تاب لربه توبة نصوحا » .

ياله من ذاكر فضل وشاكر للجميل ! ياله من انسان كبير يقر باحسان غيره ! شهريار الجبار يشدو هاتفا بنعمة شهرزاد عليه دون خجل أو تردد ! شهريار الطاغية ينحني مقبلا يد شهرزاد البيضاء في وفاء واكبار ! انها لقمة المروءة ومنتهى النبل .



شهرزاد ، يا أنموذجا نسائيا ، بديعا ،

يخيل إلي ، والزورق يمخر بي عباب الماء ، أن حجبا سميكة تفصل بيني وبينك . مزقيها ، احرقيها ، أزيحي الفواصل وحطمي العقبات وتعالي . عودي الينا ، شدي أزرنا في عصر طغى فيه السخف وسادت الغباوة .

إني يا صديقتي أرنو الى الفضاء الرحب سائلة عنك ، طالبة عالما أصفى حيث الهواء طلق لفكري ، وحيث ينابيع الامل جارية غير معطلة .

إن الامل يا صديقتي دعامة الوجود ، به نقطع اليأس ونحقق المنى .

الامل رمز البقاء ونكهة الحياة .

الامل سنان قاتل يمزق أودجة العسر ، ويعيد الثقة الى النفس .

الامل زاد المعذبين في الارض .

إن قلبى يطفح أملا للقائك يا شهرزاد ، وإن صوتى ليرتفع مخترقا سجوف الأفق المعتم ليناديك :

« صديقتى ، يا شهرزاد ، تعالى قاسمينى العزلة واسمعى مني الشكوى . تعالى ، أقبلى ، حلقى ، حلقى فوق جبالنا ، بين وهادنا ، عبر مدننا . طهرى الجو فيها ، عبدى أرضها ، اجتثى من ثراها الاشواك والزعانف ..»

وتصمت بلقيس ثانية ، واذا القوم لا يزالون على شوق ، فتقول :

«يا قوم ، بينما كان كل كيانى مشدودا الى الافق ، لاح لى فى السماء جرم صغير . أمعنت النظر فى الجرم ، فاذا هو يمتد ويكبر ، فيتضح حجمه ويتبين محيطه حتى يصبح فى شكل دائرى كأنه المائدة تغطى قاعدتها قبة من زجاج تنعكس منه أنوار باهرة تتألف من ألوان متعانقة ، متمازجة ، فيها البنفسجى الدافىء ، والبرتقالى الناصع ، والكستنائى الهادىء ، والاصفر الحجول ، والازرق الجسور ، والاحمر الجهنمى ...

بقيت مشدوهة وأنا أمعن النظر فى المائدة المطلة علي ، فاذا بطبق طائر قد أطل من وراء الأفق .

الطبق يسعى مرتفعا الى الاجواء تارة ، ومنحدرا نحو سطح الماء طورا . إنه آخذ فى النزول ، انه يقترب من صفحة الماء ، انه يدنو من سفينتى التى جن جنونها ، فطفقت ترقص على أهازيج المويجات فرحا به ، رقصة العيس على أنغام الحادى .

لقد اعترتنى فجأة رهبة شديدة وامتلكنى فرق مقيت فى هذه اللحظة الفريدة وسط هذا المحيط الهائل . بيد أننى سرعان ما أحسست بالانعتاق ، وبالجوهر الخالص أتحد واياه ، وبالنشوة . فقد اضمحلت من ذهنى كل مقاييس الزمان والمكان ، وأصبحت خفيفة كنسمة السحر ، طليقة ، جذلى .

إنها لعمرى للحظة خالدة ، منقطعة النظير ، تلك التى أراد القدر أن يحقق لى فيها أملي فيجمع بينى وبين شهرزاد .

صديقتى العربية الابية واقفة أمامى بجسمها المستدير ، وقدها الاهيف ، تلوح لى بيدها وتبتسم . قفطانها المغربى ، وطاقيتها المشرقية ، وبابوجها التونسى ، أضفت على جمالها مزيدا من رونق ، وعلى جلالها فضلا من مهابة .

أقبلت صديقتى ملبية دعوتى ، مريدة انقاذى . ان فى اقبالها انتصارا للأمل ، وغلبة للفكر ، وتفوقا لعرى الصداقة والمحبة .

هى ذى شهرزاد تنزل من مركبتها الفضائية ، تتبعها تودد ، الجارية الفصيحة ، النبيلة ، السخية ، « التى وصلت الى شىء لم يعرفه الا الراسخون فى العلم » . وها أنذا أتقدم نحو صديقى يدفعنى خفقان قلبى ، وتحركنى اختلاجات جوارحى .

استجاب القدر ، فأغدق علي نعمته فى هذا الصباح ،اذ أوحى الى اليم أن يستحيل زرابى من حرير مبثوثة تحت أقدامنا ، وأوحى الى السماء أن تجعل هالة من أثير تظلل أرواحنا .

يا للنعيم ، يا للقاء الفذ ، يا للرقصة الابدية العذبة ، كأنها الارض ينزل عليها الرذاذ فتهتز وتربو .

واذا أنا أقبل على شهرزاد لثما وتقبيلا ، وقد طوقتها بذراعى شوقا ومحبة ، واذا هى تغمرنى بفيض حنانها سائلة فى دهشة واستغراب :

ـ ألا تعلمين يا بلقيس أن فى الابحار أخطارا وأهوالا ، فما الذى دفعك اليه ؟



قلت :

ـ لقد ضقت بالمكر والنكر يا شهرزاد ، وانفت من الاقامة بينهم .

قالت :

ـ هذا كلام بالجملة ، فهاتى التفصيل .

قلت :

ـ إنى هاربة يا صديقتى من واقع ظلوم يكتنف المرأة العربية المثقفة ، المناضلة ، التواقة الى الاسهام فى بناء مجتمع عربى أصيل .

قالت :

ـ واقع ظلوم !!

قلت :

ـ أى والله ، واقع ظلوم يخنق مواهب المرأة خنقا ويعطل مبادراتها تعطيلا ، فيغتال طموحها ،ويئد انتاجها ، ويستغل طاقتها ، ويستبد بجهدها . انه الحيف والظلم يا شهرزاد .

فهل لى أن أذكر لك يا أختاه أمر الفنانة الموسيقارة ، الكاتبة الاديبة ، فقد أسكتوا صوتها ، ووأدوا إنتاجها .

أو أمر الباحثة الخبيرة ، فقد أحبطوا عزيمتها .

أو أمر الصحافية الممتازة ، فقد أطفأوا اسمها اللامع .

أو أمر الممثلة القديرة ، فقد أضربوا عن تقديم مسرحياتها .

أو أمر المرأة العفيفة التى دسوا لها الدسائس لانهـا استمسكت بمكـارم الاخلاق ، وما اعتمدت سوى قيمتها الذاتية فيما نالته بجهدها .

وهل لى أن أذكر لك أيضا يا أختاه فداحة خطب هذا الواقع الذى ما زالت فيه نساء كثيرات يعتقدن أن قيمة المرأة فى جسدها دون فكرها ، فى زينتها دون أخلاقها ، فى مدى اهتمامها بالمظاهر والهوامش المستفزة للغرائـز دون عفتهـا .

وتخاطبنى شهرزاد خطابا فيه انفعال وحسرة :

ـإنه واقع ظلوم حقا أخشى منه على العربية المثقفة الشعور بالغربة بين أهلها وذويها . بالامس وأدوا المرأة ، واليوم يستخفون بها امتهانـا لهـا . يا للمظلمة تسلط على العربية فى الشرق والمغرب .

وتنظر الي صديقتى بعينين ذاهلتين فى طرفهما حور ، ولسان حالها يتفجع لواقع العربية المثقفة ، المناضلة ، ويثور على المكر ، والنكر ، والخداع .

وترفع تودد العالمة الاديبة رأسها ، فتلوح قسمات وجهها معبرة عن فكر عميق ، واحساس رقيق ، واستنطاق للتاريخ دقيق .

وتصمت ساعة ، ثم تقول مخاطبة شهرزاد بصوت ملؤه الثقة والحزم :

ـ سيدتى ، لا يحزنك واقع المرأة المناضلة فى بلادنا العربية ، فمهما شاع المكر بين الناس رجالا كانوا أو نساء ، فان الانتصار لا محالة سيكون لها .

أفلا يحق للمثقفة المناضلة أن تنجح فى الحياة اذا اتخذت من المثل الأعلى إماما ومن العمل الشريف منهجا ؟

أفلا يحق لها أن يكون لها أثر يذكر ، وشأن يحمد ، وأدب يعرف ؟

أفلا يحق لها أن تكون صاحبة رأى وتدبير ؟

أفلا يحق لها أن تجد مكانها تحت الشمس ؟

إنك قد سهرت يا سيدتى ألف ليلة وليلة نضالا فى سبيل كرامة المرأة ، وترويضا للرجل على احترامها واعتبارها كائنا يفكر ويحس . إنك جاهدت ألف ليلة وليلة فكان النجاح لك ، وكنت أسوة حسنة لكل النساء اللائى يأبين الاستسلام للضعف والرضوخ للظلم .

وما إن فرغت تودد من كلامها حتى قلت :

ـ ألف ليلة وليلة ، ألف دليل ودليل على مصابرة المرأة واحتمالها للمكروه . ألف حجة وحجة بها تبرز قدرة المرأة على الاستجابة للعقل دون العاطفة . ألف عبرة وعبرة لكل من يساوره وسواس امتهان المرأة أو الاذناب فى حقها .

وتضىء وجه شهرزاد ابتسامة مختصرة ساحرة ، فتمسك بخصلة من شعرها الاسود الغجرى الذى ضرب العنبر فيه ، وتفحصها بين أصابعها متلاعبة بها ، قائلة فى شاعرية مازحة :

ـ علمت شيئا وضاعت عنك أخبار . إن ألف ليلة وليلة ، يا هذه ، يا أخية ، هى رقصة حبيبين التقيا فى ليلة قد ادلهمت ظلماتها . ألف ليلة وليلة هى ارتشافات بطيئة ، شهية ، لخمرة العشق واكسير الهوى . إنها اتحاد فكرين ، وانسجام جسدين . إنها « صلوات فى هيكل الحب » على أنغام قلبين يخفقان على إيقاع لحن شجي .

وتسكت شهرزاد طرفة عين ، ثم تستطرد قائلة فى حبور وراحة بال لا حد لهما :

ـ كم وددنا يا أخية لو لم يدرك ليالينا الصباح . فقد بلغ الانسجام بيني وبين شهريار ما بلغ ، فى تلك الليالى ، حتى كأننا ننعم فى جنات تجرى من تحتها الانهار . كنا معا ، هو وأنا ، متحدين روحا وفكرا . كنا نتناجى اذا سجا الليل ، ولا يدركنا الصباح الا وقد ذبنا لذة .

وتسكت شهرزاد ثانية ، وتطرق مليا كأنها تستمتع بالصمت ثم تقول :

ـ ما أتفه حياة المرء يا أختاه ، اذا لم يحقق فيها صاحبها الاتحاد بين الفكر والجسد .

وأنتعش بحديث صديقتي فأقول :

ـ إن لياليكما يا شهرزاد ليالي « إمتاع ومؤانسة » تزخر علما ، وفكرا ، وعاطفة ، ورهافة شعور ، ودقة احساس . لياليكما أشعار وألحان رواها الدهر ، وتغناها الناس ، فترنمت بها كل امرأة أصيلة ، عفيفة ، واعية ، تقدر الحب ، وترعى الود ، فلا تخون « الرباط المقدس » .

وتقاطعني شهزاد فجأة فتقول :

ـ ذكرنا الليالي فتهنا ، إني سكرت بالذكريات حتى انتشيت . ألا نعود الآن الى أمر العربية المناضلة يا صديقتي ؟

وتصمت بلقيس الراوية كأنها قد انتابها فتور ، فتسرع احدانا اليها ، وتناولها شرابا مزاجه رحيق ياسمين . واذا هي تقول هامسة :

ـ يا قوم ، لم تكد شهرزاد تفرغ من كلامها ، حتى تلبدت السماء بالغيوم ، وطفقت العاصفة مزمجرة ، وانبرت الامواج متلاطمة ، متصارعة . وتجهم الجو ، واكتأبت النفس ، ولم يبق من أنيس غير رائحة الطحالب وأعشاب الماء تصعد متضوعة كأنها ألسنة من رماد صنعتها أيدي الجن والمردة .



« ماذا أصاب الطبيعة يا ترى ؟ أهي في حداد ، أم هي ترمي الحمم غضبا من سوء فعل البشر ؟ أم هو اليم ينقلب رأسا على عقب تنديدا بمكر الناس وما يأتونه من اثم كثير ؟» بقيت واجمة ، عاجزة عن الحراك وقد أشفقت على نفسي من سوء المصير . نطقت بالشهادة وناديت مستنجدة : « شهرزاد ، يا شهرزاد ، تودد ، يا تودد . أين أنتما ؟ أين زورقي؟ الاعصار يداهمنا ، الى أين المفر ، الى أين ؟ الى أين ؟ » .

وما زلت أستغيث وأستنجد ، واذا بموجة كالقلعة الشامخة تدفعني دفعا صرت به طائرة في الفضاء : «الاهي ! ما هذا البأس الشديد الذي يعبث بي ، فأشعر وكأنني فراشة هائلة أطوي المسافات طيا ، وأخترق الحجب ، وأتكشف على عالم أرحب وأنقى من ذلك الذي كنت فيه بجسم مكدود وفكر مغلل ؟ وما هذا الصفاء يصافح بصري ونفسي ، فيعزلني عن الكون ويصهرني في عالم الخلود ؟» ، لم يعد يوجد في طريقي مكر أو خداع ، نكر أو شر ؛ كل شيء هنا صدق وصفاء ، عبقرية وجمال ...

وفى ومض البرق ينقلب المشهد من حولى مرة أخرى ، فأجد نفسى فى قصر من الطراز العربى ، تطل شرفاته على حديقة غناء ، بها بحيرة تسر الناظرين هندستها وأغصان الشجر المنعقدة عليها .

لقد تفاقمت دهشتى ، واستبد الشك بعقلى · « أفى يقظة أنا أم فى منـام يا ترى ، أم فى روض من رياض جنة النعيم ؟ لكأن عجائب الدنيا وغرائبها قد اجتمعت فى هذا اليوم لتبلونى وتعلمنى كيف أتخلص من البـؤس الذى أتخبط فيه » .

وبينما أنا غارقة فى حيرتى ، اذ دخلت علي شهرزاد تتبعها تودد فى حشد من الصبايا الحسان ، كواعب أترابا ، يحملن طنافس مطرزة لم يلبثـن أن وضعنها على الارض ثم انصرفن فى حياء مسلمات .

وأشارت علي شهرزاد : أن اجلسى ، فأسرعت اليها أسألها متلهفة حيرى :

ـ هل لى أن أعرف ما حدث يا شهرزاد ؟ إن الخوف يكاد يقتلنى .

قالت فى عطف يزاوجه مرح شديد :

ـ كيف يخاف من يركب اليم ، ويتسلق الفضاء طلبا للخلاص من أدران الناس يا بلقيس ؟ كيف يخاف من يخرج ساعيا الى نصرة الحق ، باحثا عن جوهر الحقيقة ؟ شاهدناك يا أختاه فى عرض البحر تتألمين من مأساة العربية المثقفة المناضلة ، فاسرعنا اليك أنا وتودد قائلتين :

« البحر يهيج لوعة المحزون ، فلم لا نخطف منه صديقتنا ، ونطير بها الى مكان آمن تستطاب فيه الاقامة ، ويحلو التحاور والتأمل ؟

وجئنا بك الى هنا ، الى حاضرة المستقبل العربى ، مدينة الغد الجديد » .

قلت فى دهشة :

ـ حاضرة المستقبل العربى ؟ كيف وصلنا اليها ؟ من هم سكانها ؟

قالت شهرزاد :

ـ أوصلنا اليها الطبق الطائر ، أسـرع مـا حققـه جمهـرة المهنـدسين والمهندسات فى مختبر الابداع الفضائى .

إن فى المدينة يا بلقيس نساء ورجالا نشأوا على درب الجد ، ودرج الجهاد ، وحب الخير لكل كائن حي . وإنك لترينهم حراصا على إزاحة الصدإ الذى شوه وجه الحضارة العربية الاسلامية . سترينهم يعملون والعرق يتصبب من جبينهم ، والابتسامة تعلو محياهم .

ان العمل يا أختاه درع واقية من لدغ الفقر وخطر الانهيار .

العمل هو السلامة والصحة . هو بؤرة الامل وأنشودة الانسان .

وتقترب تودد مني ، فتناولنى آلة كاشفة أضعها على عيني فأبصر !

قاعات للدرس والمحاضرة سميت بأسماء عباقرة الاسلام من علماء ومفكرين .

هذه « قاعة ابن سينا » بأجهزتها المخبرية ، وآلاتها الطبية يعمرها الباحثون والباحثات فى الكيمياء وعلوم الانسان .

وهذه « قاعة أبى العلاء المعري » تزخر بالكتب والمجلدات ، قد غصت بالفتيان والفتيات المنصرفين الى تحليل المقولات الفلسفية المتعلقة بالخير والشر وفلسفة الاخلاق .



وهذه « قاعة أبى حامد الغزالى » المفروشة بزرابى قيروانية يرتفع منها صوت أستاذة تحاضر فى تاريخ الاسلام ، ودخول الناس اليوم فى دين الله أفواجا .

وهذه « قاعة الخنساء » تتدلى من سقفها الثريات ، يضيف نورها نورا الى قلوب الجالسين لدراسة « العربية لغة الابداع الفكرى والحضارى » .

وقاعات كثيرات غيرها تدرس فيها المعارف بانواعها من تاريخ ، ورياضيات ، وجغرافيا ، وسياسة ، واقتصاد ، وفلاحة ، وفنون جميلة ...

عجبت مما هنالك ، وأحسست بمشاعر العزة والنخوة والاطمئنان ترفعنى فتجعلنى أعلى منزلة . انها صورة العالم العربى الاسلامى متجذرا فى تراثه ، متأصلا فى تاريخه ، ومنطلقا نحو حضارة انسانية جديدة .

وبينما أنا غارقة فى دهشتى ، يأتى صوت شهرزاد لينبهنى قائلا :

ـ ذاك هو الغد فى وطننا العربى أيتها الصديقة ، أمة ناسها مجتهدون لا يهزلون ، أمة عزيزة بعلمائها ومفكريها ، منيعة بقادتها وساستها ، ثرواتها درع لها ونعمة من الله على أهلها . أمة نساؤها ورجالها متآزرون ، يسوي بينهم السعى والعمل لمجد «المدينة العربية الجديدة» .

وينتابنى الفرح أيها القوم ، وأشعر بسكينة لا حد لها . أبتسم ، ثم أقول لصديقتى الأبية ، الاصيلة العربية :

ـ إنى أسمع صوتا يقبل من بعيد ، فينتشر صداه فى الفضاء يا شهرزاد .

الصدى كأنه غمغمة لا تلبث أن تتضح شيئا فشيئا . إنه صوت يناديك .

« شهرزاد ! يا شهرزاد !

يا من أحببت دمشق وكنت زينة بغداد ، يا من نزلت القاهرة وكنت الى تونس مشتاقة وبزيارة القيروان حالمة ، يا من طار صيتك فى مدينة فاس وربوع مكناس ، إن النساء العربيات المسلمات الصالحات يرقبن ظهورك . عودى اليهن ، عودى ، عودى ! »

ويغمر شهرزاد تأثر عميق . وتنتصب أمامها تودد ، تناولها كتابا ولا تقول شيئا .

تسلم شهرزاد إلي الكتاب بيمينها ، ثم تنصرف ولا تقول شيئا .

كل شيء مقفر حولى ، وأنا فى اليم ، يسير بى زورقى .

وأفتح الكتاب فاقرأ : «**وعد شهرزاد لبلقيس**» .

**زكيـة عبد القـادر**

# شلالات الفضة

إبداع : نعيمة الصيد

وحدك إلاها ...
تفتح عمري غابات عشق ...
فضاء للطيور ...
وحدها أناملك ...
تلفح جسدي بشهوة النار ...
تحرقه .. تعيد تنسيقه ...
تعيد تكوينه ...
وتخلع ضوءك عليه ...
فيغشى النور كل الاوردة ...
يندلع النزيف المحموم فى داخلى ...
وتكبر أشجار الشوق ...
تورق فى دمي ...
تعتريني رغبة الموت ... والـولادة
الاولى فيك ...
فتنفجر براكين الاوجاع ...
جدائل حلم ...
اسفح تاريخي فيها ...
استعرض في ذاكرتي المتعبة ...
كل طوابير الوجوه ...
وحـده وجهـك مـائي ... خبـزي
وزيتوني ...
والعن اياما ضائعة مني ...
أتشبث بتلابيبه ...
بسمرته العربية ...
بمواسم شلالات الفضة ...
آه ...
شلالات الفضة ...
لشد ما أهرب من قيدها ...
من منطقة الدفء فى مدن الحلم ...
يا وشما على جبين جنوني ...
أتراني ظلمتك حين باركتك ...
رعدا في شريان أرضي ..؟
أتراني ظلمتـك حين امتـلأت بـك
وطنـا ...
والسابقون كذبة باطلة ...
جثث تطفو على سطح الذاكرة ..؟

تونس فى 16 ـ 1 ـ 86

# يونس الحشايشى

قصة : محفوظ الزعيبي

العربة المتداعية تقضم الطريق الممتد بين الحقول الجرداء الحزينة ·· البغل الادبر يحترق تحت سياط الشمس ·· يسبح فى بحر من العرق المتأجج .. صرير العجلة يرتفع وينخفض ، يقترب شيئا فشيئا .. تبدو العربة كخنفساء عجوز ، أشبعها الدهر من آلامه ·· فتمر بطيئة ، متخاذلة ، قد عشش الاعياء والهرم فى كل جزء منها .. لم يكن حوذيها غريبا عني .. إنه : « يونس الحشايشى » · نظرت اليه فلم أستطع أن أميز وجهه من جسمه ، كان رأسه مندسا فى مظلة السعف المنكبة الى الامام بحيث لا يستطيع أن يميز ما حوله بوضوح ···

« ـ الله يعينك يا عمي يونس

ـ الله يسلمك ·· »

ولم يتزحزح من مكانه ، بل ظل على هيئته ماسكا بحبل المقود وقطعة القنب ·· ثم ارتشفنى بنظره المتغضن المكدود وسألنى :

ـ الى أين ؟· تربح !

ويقصد من خلال ذلك المكان الذى أنشده ··

فقلت :

« ـ الى جهة الطاحونة .. »

تحسسنى مرة أخرى بعينيه الضئيلتين المختفيتين عن النور .. كان وجهه الضامر يبدو من أحد جانبيه كالهلال ، ينم عما يحمله من تعب الشيخوخة .. وبرز ذقنه المعقوف حتى كاد يلتقى بأنفه المتدلي ، اللماع كلما تسربت اليه

الشمس ٠٠ أما الفم فقد غاص فى المنخفض الضيق من الوجه وانجذبت شفتاه إلى الداخل تفرجان بين الحين والآخر عن سن وحيدة اندثرت أخواتها منذ زمان .. بدا العم يونس بجسمه المنكمش الصغير أكبر بكثير ٠٠ ورغم الانحناءة المرسومة على ظهره ، والتى لامست قفا رأسه كان طبيعيا لاننى تعودت أن أرى كثيرا من شيوخ الريف على هذا الشكل ...

ــ أين الطاحونة ٠؟

ــ بعيدة .. هناك ؟ لماذا هذا السؤال ؟..

ــ سمعت عنها

ــ ماذا سمعت يا ولدى ؟ انه لا شىء من ذلك ٠٠

ثم غمغم ، واختفى صوته داخل المظلة السعفية المتهدلة ، ولم أعد أسمع منه إلا كلاما مبهما ، واستمر البغل المترنح فى مكابدته وعنائه تلتصق به العربة جاهدة ألا تنفصل عنه ٠٠

توغلت العربة فى مساحات الحقول ، تختفى تارة ، وتظهر أخرى ، الى أن أصبحت فى حجم ذبابة ثم تلاشت ..

كانت الشمس تحفر دماغى وتثقبه بمساميرها الحادة ، ظلى انحسر فى مساحة ضيقة جدا تحت ساقى بحيث أصبحت أطؤه كلما مشيت ٠٠ الصراصير تعزف سنفونيتها الحادة تجاوبها من حين لآخر هفهفات بعض الطيور المتنقلة لالتماس الظل والمقيل ٠٠ وأنا أتأجج متبعا آثار العربة لا أبالى بطعنات القيظ أو بخطر الكلاب المسعورة .. عيناي تتوثبان لعلهما تلامسان أعالى الطاحونة فى الأفق البعيد المشطب بخطوط السراب ...

★ ★ ★

٠٠ «الشاطىء اللازوردى تتفتق فيه الطبيعة حيث يفتح البحر الاخضر قلبه لأهل العشق .. الطريق الرئيسية رقم سبعة تغطى ظهرها الداكن قوافل السيارات مختنقة فى مداخل الجسور وأمام أضواء المفترقات تعرج الى مدينة ــ فريجيس ــ لتنصب مباشرة فى مدينة ــ سان رفائيل ــ الساحرة ٠٠

كان الصيف يفيض برائحته وعرائه على المدن الجنوبية الفرنسية .. الشوارع تختنق بالسيارات والعباد ٠٠ طوابير من باعة وعارضى الارصفة على

امتداد الشوارع وعلى ساحل البحر ·· تستوقفك معروضات من بضاعة ومبيعات مختلفة فى هذه الاماكن ، وتقع عيناك على منحوتات صغيرة تتمثل فى رؤوس بشرية ، وأوانى من الفخار والبلور الملون ، إنها تحف أثرية ، ما زالت بصمات التاريخ عالقة بها .. يحدثك بائعوها عن قيمتها ، وعن عصورها ، والاحداث التى شهدتها ·· وتحس أن من بينها ما هو جزء منك ، من صلبك وكيانك وعراقتك ، وتلاحظ اهتمام الناس بها ، والتعطش لمعرفة كنهها وأصالتها ، وفيهم من لا يساوم لاقتنائها ، وتكتشف أن ثمنها باهظ جدا يتوازى مع القيمة التاريخية التى تحملها .. كل ذلك وأنت واقف تمعن بصرك ، ولا تقدر على شراء ولو واحدة منها بل ربما كنت غير مقتنع بما يبدى لها من أهمية ورغبة ، وربما كنت تهزأ فى قرارة نفسك بأولئك الذين يتهافتون على اقتناء مثل هذه المعروضات .. ولو دخلت بعض الصالونات الفاخرة لشاهدت الكثير منها على الرفوف أو المصطبات الرخامية ، فتزيد الروعة روعة ، والجمال جمالا ، وتجعل المتأمل فيها منتعش البال ، لما تستحقه من قيمة وما تحوزه من أهمية .. ولكنه لا يتصور أبدا أنها تخفى فى سرها هويتها ومنبتها ، ولا يهتدى أن لها علاقة بالطاحونة وهنشير «القزاح» وعرق «ابيك يونس الحشايشى» وأنين معوله الحاد ··· انها عبرت البحر وجاءت الى هذا المكان الجديد بعد أن ظلت مدفونة تحت التراب مئات السنين ، فاذا هى تبعث من جديد ، وتعود الى الحياة فى عصر مخالف لعصرها السابق ومن أناس يتباينون مع الناس القدامى ، وفى مجتمعات تغاير المجتمعات الغابرة ، وفى مكان بعيد عن منبتها وأصلها ..

لا أحد يعرف اليد الفنانة الصنيعة التى سهرت على نحتها والوصول الى تحقيق شكلها ..

ولا أحد يعرف لمن بيعت أو أهديت ، وفى أى بيت أو قصر انتصبت وعرضت ..

ولا عقل يدري أو يحسب العيون التى شاهدتها ، والايدي التى لامستها ، والقلوب التى استهوتها ..

إنها عجيبة حقا ما دامت تحمل فى طياتها المجهول ، وما دامت تنبض بهذه الأسرار ، وتزخر بالعجائب ، وتثير كثيرا من الغموض .. »

★ ★ ★

.. — هنشير القزاح — هو مجموعة من الهضاب البنية الصغيرة يتلاصق بعضها ببعض فتظهر كالنهود العارية ، وعلى هضبة من الهنشر تنتصب بناية قديمة ، ضخمة ، عالية الجدران ، عضها الزمن فأحدث فيها فلولا ، ولوثها بالطحالب والسواد ، تحكي حيطانها المجصصة الهرمة عن تاريخ قديم ، وتشهد عن ماض سحيق ، وعن حياة كانت موجودة فيها ٠٠ وبقربها دهاليز قاتمة لا يجرأ أى أحد على دخولها ، وتدلت من فوق عرائش العليق متعانقة على شكل لفائف تصفر فيها الرياح من حين لآخر ..

أما الظلال فقد ربضت فى ذلك المكان كأنها تشد البرودة اليها ، فتنعم فى تلك الوحدة بالسكينة والخلود ..

تلك البناية معروفة باسم — الطاحونة — وهناك من يسمى هنشير القزاح بهنشير الطاحونة ، أما الطريق التى تمر من أمامها فهى طريق الطاحونة كما يعرفها الجميع ...

كنت مشدودا بالطاحونة ، لما سمعت عنها من حكايات القرويين ، فهى كما يروون عنها معقل للجن والشياطين ، ومسكن للمردة ٠٠ وهى مرصودة منذ أقدم الازمنة فكانت مبعثا للعجائب ٠٠ وتحت هضابها تربض كنوز مخزونة يستعصى استخراجها الا عن طريق السحر ...

كثر الحديث عن الطاحونة وعن مقبرتها التاريخية ذات النفائس والتحف المثيرة ...

وتراكمت فى ذهنى أصناف الروايات ، وحشرت مختلف الافكار .. وأصبحت الطاحونة وحدها تمثل عالما وهميا لا حدود له ٠٠ كنت أرغب فى زيارتها والعيش ولو للحظات فى طقوسها وعزلتها ، وكان موقف يونس الحشايشى ذلك العجوز الغامض ما زال يحيرنى ، ويبعث فى نفسى مزيدا من الرغبة وحب الاكتشاف ...

* * *

.. كنت أمشي فى طريق الطاحونة ، مستحث الخطى ... الشمس تفرزنى عرقا .. الريح الجنوبية الساخنة تلذعنى بألسنتها النارية المحرقة ..

الرمال تنصهر تحت سياط الحرارة فتميد تحت قدمى كالزئبق ٠٠ الطيور هاجرت السماء ولاذت بالظلال ٠٠

كنت أراقب متاهات الحقول فوق رؤوس الاشجار ، كانت تبـدو بعيـدة أحيانا ، أو قريبة أخرى ...

فى ذلك الافق الجهنمى تطل الطاحونة من بعيد ٠٠ تترامى الطريق المنحنية ذات المنعرجات الكثيرة فى تلك السهوب كأنها مقطـوعة عن الطـاحونة ، أو كأنها لا تصل اليها ..

كنت دائمـا أستحضـر الحـوار الـذى دار ذات مرة بينى وبين يـونس الحشايشى :

« ـ أين الطاحونة ؟

ـ بعيدة .. هناك .. لماذا هذا السؤال ؟

ـ سمعت عنها ..

ـ ماذا سمعت يا ولدي ؟.. إنه لا شيء من ذلك ! »

أسأل نفسى وأنا أذكر غمغمة ـ يونس الحشايشى ـ محللا اجابته :

« ـ ماذا سمعت يا ولدي ؟.. لا شيء من ذلك ! »

جالت ببالي خواطر وتأويلات كثيرة .. كنت أتابع الطريق التى أحسبها لا تنتهى .. وكنت كلما أشرفت على مكان عار أرى الطاحونة تقتـرب مني ، فكأنها تنحني علي من بعيد أو تمد إلي يدها لتجـذبنى الى بعض نوافذهـا الـداكنة ...



مضت ساعتان من المسير .. وكـأن الريـح قـذفتنى مبـاشرة الى تلك الاحراش ، وللحرارة وقع خاص حين تتفاعل الشمس المتـأججة مع الريـاح العنيفة الحارقة ٠٠ كل شيء يبدو جليا الآن ٠٠ الطاحونة تتربع على هـذه الهضاب الفسيحة الجرداء ، تتحدى الزمن كعجوز غابرة تكـافح المـوت ولا تنصاع اليه بسهولة ، فراغات أبوابها الضخمة تكشر عن نتوءات الحجارة ..

الرياح تهدر فى فجواتها كسيول المياه المتدفقة ، فتلطخ أركان الجـدران لطخا ، وشعرت بأننى لاول مرة أواجه هذه الوحدة الكئيبة ، وتخيلت لو أن ماردا يخرج من بين أكداس الحجارة وأشواك السكوم ويمتد عاليا لينحني علي من فوق الطاحونة برأسه الضخم ، وعينيه الجمريتين ، وأنيابه الطويلة الحادة،

ولكن الشجاعة التى امتلكها فى ذلك اليوم دفعتنى الى الاقدام ، واكتشاف هذا القمقم ومعرفة حقيقته ...

هناك آبار سوداء عميقة لا قرار لها ، تقرعها الرياح فيسمع أنين صادر من جوفها ، ابتعدت عنها قليلا ، واقتربت من الوجه الامامى للطاحونة ، وأنا أسبح فى بحار من الخيال والحيرة ..

لقد حدثنا أستاذ التاريخ عن الحضارات الغابرة، عن الرومان والنورمنديين، عن العرب والاسبان ، عن الاتراك .. عن الفرنسيين .. ولم أكن من الاختصاصيين فى مادة التاريخ حتى أفتح أسرار ما يمثل أمامى ، ولكن دوامة الافكار جعلتنى وجها لوجه أمام الزمان والمكان ...

« رأيت مئات الجنود الغائصين فى الحديد ، المدججين بالسلاح يصطفون فى كل مكان ، وبرزت بنايات أخرى فوق هذه الهضاب .. انها مدينة برمتها ، أسوارها عالية ، وجدرانها متينة ، وقلاعها حصينة .. يطل من أعاليها حراس أقوياء ، غلاظ .. رأيت آلاف الناس فى هرج ومرج ، فيهم الغنى والفقير ، يلبسون ثيابا صوفية وجلدية ، وهم يهتفون ويصفقون ، وتتخلل تلك الحشود عربة ذات عجلتين ، تجرها الخيول المطهمة ، وقد جلس فى مؤخرتها الملك وعلى رأسه التاج وبيده الصولجان ، وجلست بجانبه الملكة الجميلة ، تحيي الناس من حين لآخر بابتساماتها .. بين الركب من أمامى وأنا دائخ لا أتحرك ، تدخل العربة باحة القصر تحت حراسة الجنود وينزل الملك ، وتنزل الملكة وتحجبهما الستائر .. »

أفقت من غيبوبتى الخفيفة ، وعدت الى واقعى ، وتيقنت أن ما شاهدته هو مجرد صور جمعتها الذاكرة من خلال حديث الاستاذ عن تاريخ الرومان فى بلادنا ، وربما امتزجت هذه الصور ببعض مشاهد الافلام التاريخية القديمة... ولكن الحقيقة تكمن فى أنه لا بد من حضارات سابقة قد لامست هذا المكان ، ومرت من هنا ولم تترك الا هذه النفايات الزهيدة ...

فى تلك اللحظات العميقة ، وفى ذلك الصراع الزمنى القاهر ، شعرت بأننى لم أكن وحدى فى ذلك المكان ، وأن واحدا آخر على الاقل يشاركنى رحلتى الخيالية عبر القرون الغابرة .. لقد تطرقت الى مسمعى نحنحة ، وأصداء معول يتجاوب مع تلك الحجارة الهرمة .. خفت فى بداية الامر ولكنى تشجعت ، ورحت أحوم حول الطاحونة ...

.. عربة منتصبة على مؤخرتها ، متكئة الى الجدار ، تكدست حذوها البردعة والشكيمة وبعض الحبال .. بغل أدبر يستلذ ببرودة الظل ، يعمل منخريه في هشيم الحشائش اليابسة .. تقدمت أكثر .. أشرفت على قبـر قـديم حيث يطالعني الرنين .. نعم ! هو بعينه .. عمك ـ يونس الحشايشي ـ حسبته في أول الامر من بقايا الاموات ، أو شبحا منها ، آن له أن يستيقظ في هذا المكان الموحش .. رفع رأسه إلي وتأملني بعينيه الضيقتين .. كان جسمه النحيف يشبه الهيكل العظمى المضمحل .. وكانت سمرته تغوص في ظلام القبر ... عرفت أن الرجل لم يحتمل قدومي في تلك الآونة ، فهو حريص على السـر الذي لم يبح به لأحد والذي فتحته الآن واقتحمت عالمه الخاص ..

غمغم كعادته ، ثم شد يديه الى حاشيتي القبر وقفز خارجه .. كان العرق الملوث يغطي كامل جسمه ، تصفعني رائحته المفرزة من خلال ثقوب المـريول المهترىء ، والسروال المقطع .. انحنى على المظلة ووضعها على قبعته الصغيرة ، واتجه نحو العربة .. كنت ألقي بقايا نظرة داخل القبـر .. رأيـت جمجمـة منفصلة عن عظام أخرى ، وشظايا بلور فيروزجى .. وسمعت تنهيدة عميقة تخرج بصعوبة من ذلك الصدر الضيق المحترق ..

حيرني الرجل كثيرا ، واهتممت به أكثر .. وبقيت أفكر في أمره .. لـم أجد الفرصة لتحيته أو المبادرة بالدخول في الحديث معه ، وانتظرت مـوقفه مني : استعاذ من الشيطان الرجيم ، وجلس القرفصاء لاهثا كالثعلب العجوز..



ناداني فأسرعت اليه مسلما ، وكنت انتظر منه ذلك بل أتمنى أن يبادرني بالكلام حتى أجد مدخلا لنفسي ، وأشعر بالارتياح تجاه هذا الشيخ .. لقـد نعتني بسوء الطالع حيث لم يعثر في ذلك اليوم كما تعود أن يظفر من خبايـا القبـور ...

أزاح ـ بشكيره ـ الملقى قرب البردعة ، والتقطت أصابعه النحيلة اليابسة كأسا مزخرفة .. وقال بصوته الرقيق المتعب .. هذه فقط يـا بني . لقـد تهشمت الاخرى تحت ناب المعول .. هل رأيت بقاياها في القبر .. كنت فيما مضى أتحصل على الكثير منها ، أما الآن فهو كما ترى .؟

كانت أسئلة كثيرة تكاد تقفز من شفتي ، ولكنني ألجمتها حين عرفت واقع الشيخ يونس الحشايشي ، وكشفت سره الذي ظل حريصا على كتمانه ... ولكن يونس الحشايشي ظل كما عرفته منذ سنين ، معدما ، لا يقوى على توفير

الوجبة الواحدة .. فالكوخ هو الكوخ .. والحصير هي الحصير . والبغل عاشره منذ سنين طويلة وما زال يقاسمه المحنة والفقر والمكابدة .. تأملت من جديد سطح تلك الهضاب .. كانت القبور تفتح أفواهها الى السماء تتكدس حولها كثبان التراب الصغيرة .. لقد أكلت من جسم يونس الحشايشى وكادت تحيله هيكلا من هياكلها .. هل كان سكان المقبرة الذين كانـوا أحياء ، ينبضـون بالحياة والاشراقة والامل يدركون أن حظهم العاثر سيكون على يد سفاح مهزوم فى زمن قادم بعيد اسمه : يونس الحشايشى ، وأن مدينتهم العامرة ستصبح أحراشا مقفرة ، وهيكلا نخرا ، وأن تحفهم وممتلكـاتهم الثمينـة سيكـون تفجيرها على يد هذا الشيخ المتآكل .؟ ولكنها سوف لن تنفعه بشىء ، فهـو سيبيعها الى أحد سماسرة ـ الأنتيك ـ بمدينة ـ سوسة ـ بثمن زهيد ، لان ـ الحشايشى ـ لا يعرف قيمتها .. وأنها ستعبر البحر وستعرض فى صاونات القصور والفيلات الفخمة فى ـ نيس ـ و ـ كان ـ أو سان رفائيلـه ـ أو ـ سان تروبيز ـ أو ـ مونتوكارلو ـ .. وأنها ستشهد الليالى الحمـراء على نخب الوسكى والرقص والعناق .. ان مثل هؤلاء المجانين ينظرون الى هذه التحف نظرة الجمال واحترام التاريخ وابداع الفن ولا أعتقد أنهم سيذكرون معها ـ يونس الحشايشى ـ وهنشير القزاح وغيلان الطاحونة ...

لا أعتقد أبدا أن عرق ـ يونس الحشايشى ـ سيتسرب الى القاعات الفخمة الفاخرة ، ويتعجن مع عرق الرقص والتشطيح الجنونى ... سيظـل يـونس الحشايشى شقيا مع أمواته تلاحقه اللعنة والدعوات ، بعيـدا عن الشـاطىء اللازوردى ، وعن الطريق الرئيسية رقم سبعة وعن قوافل السيارات ومداخل الجسور وأضواء المفترقات وعن المدن الجنوبية الساحرة ...

سيظل فى غربته السوداء .. يستنزف كنوز المقبرة شيئا فشيئا وهو يحلم ولا يحلم .. يشتم رائحة الموت والأزل .. تتبعثر من حوله القبور يوما بعـد يوم .. وهو لا يدرى أنه بعمله هذا يكتب تاريخا جديدا ، ويفتح أبوابا ظلت موصدة مع الايام .. ولكنه لم يجن من هذا العمل غير اللعنة والخواء ..

يظل منتحرا فى تلك الاماكن المهجورة القاصية وهو لا يدرى أن العالم يدور حوله .. وأنه سيظل مع هنشير القزاح والطاحونة دائمـا وأبـدا الى آخـر نبضة قلب .. وعجلة الزمان لا تتوقف عن الدوران ..

**محفـوظ الـزعيبي**

# محمّد علي العنّابي ونضالاته العلمية

بقلم : رشيد الذوادي

ـ توطئـــة :

إن مساهمة المجتمع التونسي فـي الحضارة العامـة والتمدن البشري لا تخفى على أحد .. فهي عطـاءات مستمرة ، تجسد طموحات الشعب وتحكـي عن تطور ذهنية أبنائـه .

وإن مساهمة النخبة التونسية في ماضيها السحيق والقريب في المجالات السياسية ، والعلمية ، والادبية ، والصيدلية ، والتجارية ؛ ما انفكت تبعث فينا الاعتزاز والامل والشموخ .



فتونس فـي أطوار نهضاتها دائمـا سجلت مواقـف التكتل والصمـود ، ورفضت صنوف العسف والاضطهاد وتحملت برباطة جاش وشجاعة مثاليـة ما تحملت في سبيل الحفاظ على الكيان ، ودعم الشخصية ، وإبراز مواهـب العاملين في حقول الثقافة والمعرفــة .

وما النظم البلدية التي سنها التونسيون وطبقوها في العهـد القرطـاجي وعرفها العالم عنهم فيمـا بعد .. وما بواكير التآليف فـي الميدان الفلاحـي التي ترجمت في عهد الرومـان ووقع نشـر محتوياتهـا فـي امبراطوريتهـم الشاسعة .. وما (بيت الحكمة) الذي أسس في العهد الأغلبـي فأضـاء نوره بلاد المطرب واكسب تونس مكانة ممتـازة .. وما التآليف التـي برزت فـي بلاد المغرب واكسب تونس مكانة ممتازة ٠٠ ومـا التـآليف التي بـرزت في التاريخ ، والاجتماع ، والفلسفة ، والطب ، والنباتات والحيوانات الا دليـل

واضح على عمق ثقافة هذا الشعب .. وما الجامعات الاسلامية الثلاث (1) التى أسسها التونسيون فى كل من : تونس ، وفاس ، والقاهرة الا وجه مشرق يشهد بعروبة تونس واسلامها .

وظلت تونس ــ وعلى امتداد السنين ــ قلعة الاسلام ، ومعقلا للعروبة ، ومنارة للايمان ، ومنبع علم وحضارة ومعرفة .. تدفقت روافد هذا المنبع بالعطاء الى كامل بلدان شمال افريقيا بل وحتى بلاد الاندلس وصقلية شمالا ، ومجاهل افريقيا السوداء جنوبا .

وما يزال المؤرخون يشيدون بمعاهد التعليم الكبرى بافريقية كـ (جامع عقبة) ؛ الذى وضع أساسه الفاتحون من العرب فى منتصف القرن الاول للهجرة على تقوى من الله وصدق نية ، وقد أقرأ فيه رجال من التابعين منهم (عكرمة) المحدث مولى عبد الله بن العباس ، واستمرت العلوم الدينية تروى فى حلقة ولم تكن مذاهب السنة قد تمحصت بعد .. كما اتفقت كلمة المؤرخين على أن سحنون كان أول من فرق حلق أهل البدع من هذا المعهد العلمى ، وشرد أهل الاهواء منه .

ويتعرض المؤرخون أيضا الى أن (جامع عقبة) لما تمحض لتعليم أصول الشريعة لاهل السنة دون سواهم كانت الحلق فيه مكتظة بالطلبة من سائر أنحاء افريقية والاندلس والمغرب والسودان على غرار ما ألفناه فى (جامع الزيتونة) بتونس ، و (جامع الازهر) بالقاهرة ، و (جامع القرويين) بفاس (2) .

---

(1) جامع الزيتونة بتونس : وأسسه حسان بن النعمان فى الربع الاخير من القرن الاول الهجرى وأعاد بناءه عبد الله بن الحبحاب سنة 116 هـ ــ 734 م .

وجامع القرويين بفاس : بنته فاطمة الفهرية من القيروان سنة 245 هـ ــ 859 م ..

وجامع الازهر بالقاهرة : بناه جوهر الصقلى سنة 968 م .

(2) انظر (ورقات عن الحضارة العربية بافريقية) . ح. ح. عبد الوهاب ج 1 ص 107 ط 1 (تونس 1965) .

والجامع الثانى الذى أشادوا به هو (جامع الزيتونة) ويرجع تداول التعليم به الى أوائل القرن الثالث للهجرة ، ودرس فيه خلق كثير ، وتخرج منه أعلام ومؤرخون وباحثون وفقهاء وغيرهم (3) .

★ ★ ★

تعرضت الى كل هذا لأثبت أن تونس كانت دائما مدينة للعلم ، وأن الباحث والمحقق والدارس والعالم يجد فى مناخها ما يساعده على اغتراف المعارف ، وعلى القراءة بصفة مستمرة .. وظلت تونس دائما أرضا معطاء ، وتؤنس دائما بأسماء من أنجبتهم فى مجالات العلوم والمعرفة والثقافة .

وإننا كتونسيين ـ والى حد هذا التاريخ ـ ما زلنا نعتز ونفخر بمعاهدها : كـ (الصادقية) و (الخلدونية) وبأولئك العلماء والباحثين ؛ الذين برزوا على امتداد العهود الاسلامية أمثال : أسد بن الفرات ، وسحنون بن سعيد ، والقابسى ، وابن زهر (4) ، وابن عرفة ، وابن الشباط وأحمد الخولانى ، وعبد القاهر التونسى ، وابن طفيل (5) ، وابن رشد (6) ، وعبد الرحمان بن خلدون .. وغيرهم وغيرهم .

وتونس التى أحبها الشابى ولم يقف فى وطنيته عند إرادة الخير لشعبها ، واشعال الثورة فى نفوس أبنائها ، ولا اكتفى بتهديد الظالمين بها وإنما أعلن عن استعداده للموت فى سبيلها .. تونس الجميلة هذه التى أنشد فيها الشابى .

---

(3) نفس المصدر ص 124 .

(4) ابن زهر : كان من كبار الاطباء ووزيرا للخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على ألف كتاب : (التيسيير فى المداواة والتدبير) .

(5) ابن طفيل : هو أبو بكر محمد بن عبد الملك ابن طفيل : احترف الطب فى غرناطة ثم انتقل الى تونس وعين وزيرا للخليفة الموحدى (المنصور ابن يعقوب) ومن آثاره الفلسفية (حي ابن يقظان) .

(6) ابن رشد : هو أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد كان عالما وطبيبا ومن كبار علماء الفلك والمؤلفين فيه ومن تآليفه : (1) الكليات فى الطب (2) تهافت التهافت فى الفلسفة : وهو رد على كتاب (تهافت الفلاسفة) للغزالى .

انا يا تونس الجميلة في لج الهوى قد سبحت أى سباحه
شرعتى حبك العميق وإنى قد تذوقت مره وقراحه
لا أبالى وإن أريقت دمائى فدماء العشاق دوما مباحه

قلت .. تونس هذه في العصر الحديث أنجبت عبقريات كثيرة .. أنجبت الطاهر الحداد ، والحبيب بورقيبة ، وسعيد أبا بكر ٠٠ وأنجبت على البلهوان ، (7) والطاهر صفر ، ومحمد الفاضل ابن عاشور ، والمسعدى ، ومزالى والعروسى المطوى .. وأنجبت المهندس : محمد على العنابى الذى نحتفل بذكراه اليوم .

★ ★ ★

هذا هو مشوار تونس مع المعرفة والفكر والثقافة .. هو مشوار طويل وزاخر بالعطاءات وحبذا أن تنصرف همم الباحثين لتخليد من أسهم فى هذه العطاءات ومنهم : الفقيد محمد على العنابى ، الذى يعد من خيرة الرواد التونسيين فى المجالات العلمية ، وأحد الذين كان لهم فضل السبق فى ميادين الاكتشاف والبحث العلمى .

اذن فمن هو محمد على العنابى ؟ ٠٠ وكيف قضى مشواره الطويل مع العمل الهادف ؟ .. وفى الجمعيات الثقافية ؟ .. وما هى نضالاته العلمية ؟



وقبل الاجابة عن هذه الأسئلة يحسن أن أتعرض ولو قليلا الى جوانب من حياة عائلته التى تنحدر من بلدة رأس الجبل بولاية بنزرت .

**ـ عائلة محمد على العنابى :**

إن عائلة المهندس محمد على العنابى تنحدر من بلدة أندلسية عريقة هى (رأس الجبل) واستوطنت هذه العائلة هذه البلدة منذ ما يقرب من المائة وخمسين عاما ؛ وليس أدل على هذا من الحديث الذى أفرده المؤرخ أحمد ابن أبى الضياف فى كتابه (الاتحاف) عن أحد أفراد هذه العائلة وهو العالم

---

(7) على البلهوان : هو زعيم ومفكر ولد بتونس فى 13 افريل 1909 وتوفى عام 1958 ترك عدة مؤلفات منها : (ثورة الفكر أو مشكلة المعرفة عند الغزالى) ، و (نحن أمة) ، (وتونس الثائرة) وعديد الفصول السياسية نشرها فى جرائد : (الحرية) ، (لواء الحرية) ، و (الزهرة) ، و (الصباح) : انظر كتابنا (على البلهوان حياته وآثاره) .

الفقيه الشيخ محمد العنابي قاضي رأس الجبل في سنة 1846 م عند تعرضه بالكلام عن أحمد باشا الاول .

فقد ذكر هذا المؤرخ أن الفقيه الشيخ محمد العنابي توجه الى مقر السفارة البريطانية ، وذلك عندما أصر صالح شيبوب أمير عسكر غار الملح على أخذ ابنى القاضى المذكور للعمل بسراية (غار الملح) عنوة كما أخذ منه مالا وافرا (8) .

أما والد هذا المهندس ؛ فهو المرحوم البشير العنابى من مواليد رأس الجبل وبها زاول تعلمه الابتدائى ثم انتقل الى المدرسة الصادقية وبعد ان تحصل على (الديبلوم) منها باشر العمل الادارى كمترجم في المراقبات المدنية وذكر مؤلف (النزهة الخيرية) أن البشير العنابى تولى هذه الخطة عام 1897 بجندوبة ، كما أن آخر مركز عمل فيه في نطاق هذه الوظيفة هو المراقبة المدنية ببنزرت قبل أن يصبح كاتبا عاما لبلديتها .

ولم يقض المرحوم البشير العنابى مدة طويلة بهذه البلدية ؛ اذ أمام فساد الاوضاع اضطر الى أن يستقيل بسبب خلاف بينه وبين الكاهية المفوض لشؤون هذه البلدية والذى اشتهر بنزعته الاستعمارية وباحتقاره للتونسيين مهما كان الوسط الذى ينتمون اليه (9) .



وإثر زيارة (ميلران) رئيس الجمهورية الفرنسية لبلادنا في أواخر أفريل 1922 والتى أعلن فيها أن فرنسا ستبقى في شمال افريقيا الى الابد (10) واثر وفاة محمد الناصر باى فى (11) جويلية 1922 تولى حكم البلاد (محمد الحبيب باى) وصدرت اصلاحات سياسية وادارية في عهده منها تعويض (المجلس الشورى) بـ (المجلس الكبير) يتم انتخابه انتخابا من درجة ثانية لبحث الميزانية ويرأسه المقيم العام ويتركب من قسمين : تونسى وفرنسى ، وعدد الفرنسيين فيه يفوق الاعضاء التونسيين .. في هذا الظرف بالذات وقع الاقتراح على البشير العنابى لكى يترشح للمجلس

---

(8) انظر (أعلام من بنزرت) لرشيد الذوادى ط تونس 1971 ص 92 ، و (الصباح) بتاريخ 18 افريل 1963 دراسة لمحمد الصالح المهيدى بعنوان : (من هو محمد على العنابى ؟ ) .

(9) (اعلام من بنزرت) ص 98 .

(10) راجع : (تونس عبر التاريخ) : أحمد عامر ط تونس 1960 ص 377 .

الكبير ، وفعلا شارك فـي انتخابات هذا المجلس وانتخـب كاهية لرئيس القسم التونسي فيه .

إذن فالبشيـر العنابي كان من مـؤيدي هذه الاصـلاحـات (11) كبعض المثقفين التونسيين آنـذاك ؛ ولذلك شارك في الانتخابات وتولـى نيابـة رئاسة القسم التونسي في ذلك المجلس في سنة 1925 لكن ماذا فعل لما تولى هذه الخطة ؟ .

إن أول عمل قام به البشير العنابي يومئذ تمثل في تلك المذكـرة التـي قدمها للمقيم العـام الفرنسي وضمنهـا رغبة سكـان جهة بنزرت وشـوقهم الشديد لاجراء اصلاحـات جديدة فـي الميدانين الاقتصـادي والاداري ، ولا يخفى عنكم أن في هذا الموقف الشجاع وطنية كبرى من البشير العنـابي يومئذ .. فالرجل كما يبدو لكم كان محبا لوطنه ، وهذا الحـب دفعه الى أن يتقدم بهذه المذكرة في وقت كان الاستعمار فيـه يبطش بالاحرار والشرفاء

ومن الطبيعي أن تغضب هذه المذكرة السلط الفرنسية آنذاك ، ولعل مما يؤيد غضب المستعمرين عن هـذا الصنيع التعقيب الـذي ورد في صحيفـة (الدبيش تونزيان) على هذه المذكرة بعددها الصادر في 22 فيفري 1925 مما اضطر البشير العنابي الى الرد عليها بمقال نشرته له (النهضة) تحت عنوان (اظهار حقيقة) .

ومما يجدر التأكيد عليه فـي هذا المجال هو أن غضب الاستعمـار علـى والد محمد علـى العنابي لم يكن علـى المذكرة فقط ؛ اذ أن حملـة جـريدة (الدبيش) عليه استمرت شهورا عديدة بسبب شـرائه لـمزرعة كـانت ملكا لاحدى الشركات الفرنسية . (12) .

فالاستعمار رأى في هذه المنافسة ما يتنافى مع الاختيارات الاستعماريـة ومع القوانين الفلاحية التي سنها ، وحتـى مع النصـوص الملحقـة الصادرة عقب امضاء معاهدتي : « باردو » و « المرسى » .

**- عصر محمد على العنابـــي :**

ومحمد على العنابي المولود بمدينة بنزرت في 15 ديسمبر 1906 نشأ فـي

(11) هذه الاصلاحات اعتبرها الحزب الدستوري القديم اصلاحات تافهـة وتنطلي على مراوغة ونفاق ، واستحسنها بعض المثقفين بعضهم تكتـل قبل بروزها داخل (الحزب الاصلاحـــي) .

(12) انظر (الصباح) بتاريخ 18 افريل 1963 .

رعاية والديه وعاش فيما بين أعوام 1906 و 1962 وهى الفترة التى عرفت فيها تونس ضعف نظام البايات ، وازدياد النفوذ الاجنبي بمقتضى القوانين الجائرة والاوامر والقرارات التى عرفت باسم ( النصوص الملحقة ) وشاهد محمد على العنابى فى أيام فتوته وشبابه عملية تطبيق هذه القوانين ؛ التى تمكن بها الدخلاء من الاستيلاء الكامل على خيرات الشعب والانفراد بأجهزة الحكم (13) .

كما عاش كل أحداث عصره ، وتتبع أخباره ، وتفاعل مع أبناء بلاده سواء اقامته بفرنسا أو فيجمعية (طلبة شمال افريقيا) أو (قدماء الصادقية) لما تولى رئاستها عام 1934 .

ومن الطبيعي أن يتأثر هذا المثقف بما شاهده وعايشه فى عصره ، وأن يسهم ببعض الجهود فى الحياة الاجتماعية والثقافية فى هذا العصر كما سنبينه فيما يلى :

**ـ محمد على العنابى المثقف :**

ومحمد على العنابى الذى شاهد كل ألوان المظالم والتعديات ضد أبناء شعبه تعلم فى المدرسة الابتدائية ببنزرت ، ومنها التحق بالمدرسة الصادقية التى أسسها الوزير المصلح خير الدين باشا فى سنة 1876 ، وتخرج من هذه المدرسة بـ (الديبلوم) ، ثم انخرط فى سلك (المدرسة العليا للغة والآداب العربية) ثم التحق بباريس فتابع أولا دراسته فى (معهد سان لوى) ؛ حيث درس العلوم الحسابية ، واثرها التحق بمدرسة (البوليتكنيك) ، وانخرط فيما بعد فى سلك تلامذة (المدرسة القومية للمناجم) لمدة سنتين ، وتحصل فيها على كثير من المعارف ، كما أنه فى هذه المدرسة قام بتجربة علمية كبرى تتعلق بـ (المرونة والتمطط) نالت اعجاب أساتذته ، وإثرها التحق بـ : (الصربون) ، وأحرز منه على (الاجازة) فى الآداب ، وتحصل فيما بعد من (كلية العلوم والحسابيات) على (الاجازة) ثم على (الديبلوم) من المدرسة الحرة للعلوم السياسية .

وهكذا يتضح لكم أن محمد على العنابى أحرز على شهائد كبيرة واغترف معارف علمية واسعة ، ولكن كلهذه الشهائد والمعارف وظفها فى نفع الناس فهو واحد من جيل الثلاثينات الذى رفض الانبتات وتعلق بحب تونس ..

(13) اعلام من بنزرت ص 94 .

وتونس كانت دائما تعيش فى مهجته وفى توجهاته ، ولذلك رأيناه فــى كــل مشاركاته فى المؤتمرات العلميــة الدولية ؛ يقدم دراسات علمية عن وطنــه تونس ؛ فهذه دراسة عن (الصحراء التونسية) ، وتلك دراسة عــن (المناجم التونسية) ، وأخرى عن (الطاقة والذرة بتونس) ، كمــا أن بحوثه العلميــة ودراساته فى المجلات الدولية لم تخل هى الاخــرى من خصوصيــات تربته ووطنــــه .

وهــذه البحوث والتجارب العلميــة لفتت أنظار كبــار أساتــذة باريس ؛ فترددت التعاليق منوهة بكفاءة هــذا النابغة وبمواهبــه ؛ الامــر الذى قــرر بموجبه (معهد الصربون) فى عامى 1932 و1933 أن يكلفه بالقاء محــاضرات فى كليتى : (العلوم والتاريخ) فنال بهذا الشــرف صدى كبيــرا فــى كــل الاوساط .

وأمام نجاح محاضراته العلمية طلبت منه (جامعة الصربون) أن يتخــلى عن جنسيته التونسية (ليصبح أستاذا رسميا بهذه الجامعة حسبما يستوجبه قانون الوظيفة العمومية الفرنسية ..) لكن المثقف والعالم المهندس محمد على العنابى أبى هذا العرض وقال لعميد الجامعة : «انى تعلمت لانفع بلادى لا لأنتفع شخصيا ولو بأسمى الوظائف فى أعظم دولــة من دول العالم » . (14)

وهكذا كما ترون عبر هذا المثقف عن وطنيــة صادقة ، وعن حب عميــق لشعبه ، وهو فى رأيى التزام من مثقف فى الثلاثينات وعن مشاغل جيلــه وعيا عميقا فرفض أن ينعزل عمــا حوله وينزوى عن معترك الحياة فــى وطنه

إن محمد على العنابى لم يكن ذات يوم من أصحــاب المطامع ولا مــن ذوى الغايات الشخصية ، بل كــان من صنف المثقفيــن الفاعليــن فــى الساحــة الفكرية ، والعاملين على توجيه النخبة للموضوعات العلمية توجيهــا يضمن بعث عقلية علمية تعزز تقدم تونس وازدهارها .. وفى هذا المسار عمل بكل ثبات ؛ لانه آمن : (بأن للمثقف رسالة وقد خلق لادائها مهما كان الثمن) .

( يتبــع )

**رشيــد الــذوادى**

---

(14) جريدة الصباح بتاريخ 18 افريــل 1963 ـ دراسة بعنوان : « من هــو محمد على العنابى ؟ » ، لمحمد الصالح المهيدى ، و (اعــلام من بنزرت) ص 95 .

# هو الفتى ! .. يواعد الصباح ..

شعر : عبد الله مالك القاسمي

• الى استاذي البشير ..
صديق الاطفال .. والعصافير ..

– يا سيّدي ، أين اختفيت ؟
في مكتب الوزيرِ
لم أر الوزيرْ
لكنّني
من فرط ما رأيتْ
كأنّني ضحكتُ أو
كأنّني بكيتْ

* * *

رأيت وردة تفتّحتْ هنا
محلولة الضفائرْ
وحيدة نمتْ
بين السيوفِ والدّماءْ

* * *

رأيت شاعرا
يحنو على قصيدةٍ
يسكب دفء اللّحظة المحترقهْ
فوق زجاج الحُلُمِ
فوق بياضِ الورقهْ

* * *

هو الفتى
يفتح بيته لطفلة الغيابْ
يفتح بيته لأسراب الطيور
والشجرْ
كم مرّة يواعد الصباحْ !
كم مرّة يغازل المساءْ !
مندلعا في الشّعرِ ..
والسفرْ

* * *

يا طائرا يحط فوق أغصان الغمامهْ ..
اُنشر أغانيك على العشّاقِ
واغزل من خيوط الليل أقمارا
وأحلاما ..
وقل لنا :
– هل أنت سرّ الفجرِ ؟
أم أنت العلامهْ ؟

# المصطلح الموسيقي .. والمصطلح الكلامي

بقلم: د. نبيل شوره

لا شك أن الموسيقى كفن من الفنون الجميلة ، نعبر به عما يختلج في صدورنا من عواطف وأحاسيس مختلفة ، أما الكلام فسواء كان شعرا أو نثرا ، فهو وسيلة لنقل الافكار التي تجول في خواطرنا ، كما أنه وسيلة للتفاهم بين الناس .

والموسيقى سبقت الكلام ، فكانت وسيلة الانسان الاول للتفاهم ، فراح يقرن الاشارة باصدار صوته ، كلما أراد شيئا ، وتدرج من ذلك الى تحريك اللسان وفتح الفم بأشكال ونسب مختلفة .



أما الطفل فيولد ، معلنا أنه حي بصياحه ، وعندما يكبر قليلا ، لا يحاول تقليد المقطع بطريق الكلام ، بل يقلده بطريق النطق الغنائي . أي أن العلاقة وثيقة ومتميزة بين كل من الموسيقى والكلام ، فكل منهما يكتسب حياة عند الاداء ، والايقاع والصوت عنصرين مشتركين بينهما ، كما أن الكلام يتميز بتلك الخاصيات المميزة للموسيقى ، نضيف الى ذلك تشابه البلاغة الموسيقية مع البلاغة الكلامية ، فكلاهما يقوم على دراسة الجمل وأسلوب ترتيبها ، حتى تؤدي المعاني المطلوبة على الوجه الامثل ، كذلك نشير أن المصطلح الكلامي ومعناه ، اعتمد على النطق الموسيقى ، فلغتنا العربية جميلة بما فيها من ألفاظ ذات جرس موسيقى ، فالموسيقى تأصلت وتغلغلت فيها مبتدئة من حروفها ، حتى تنتهي بقاموسها الجامع ، وكتابها المقدس (القرآن الكريم) ، فموسيقاه اللفظية هي موقع السحر فيه ، أما مخارج الحروف وصفاتها فتجرى على تنسيق من الاعجاز ، حيث مراعاة صفات الحروف من الهمس والجهر والشدة واللين .

والموسيقى تحتوى علـى كل الصفـات المميزة للكلام من حروف تكتـب ونقرأ ، وقواعد تضبط الكلام ، وتتمثل وظيفتها الاساسية فى تنظيم الفكـر والاستخدام الصحيح الجيد لمفردات الكلام وتراكيبه .

أى أن الموسيقى تقوم على أساس الاساليب والانشطة التى تستخدم فى تعلم الكلام ، والتى تنحصر فى عدة نقـاط ، هـــي :

- قراءة الكلام وكتابته .
- دراسة القواعد والتدريب التطبيقى عليها .
- الوصول الى القدرة على التعبير الذاتـى .

وهنـاك مجموعة من العناصـر المشتركة بيـن الموسيقـى والكلام ، من أهمها :

**أولا : الاصوات .**

فالكلام عبارة عن أصوات متتابعة ، لالفاظ متلاحقة ، يختلف كل منها فى صفاته النوعية .

والاصوات بمثابة اللبنات الاولى أو المادة الخام التى تبنـى منها الكلمات والعبارات والجمل ، فمـا الكـلام الا سلسلة من الاصـوات المتتابعـة ، أو المتجمعة فى وحدات أكبـر .

فالجانب العملى للكلام ، أصواته والتى تكون نقطة الاتصال بين الانسان وأخيه الانسان ، حيث أن كل الناس يتفاهمون أساسا عن طريـق الاصوات الكلاميـة ، والتـى مصدرهـا أعضـاء النطـق . وهنـاك نوعان من درجـة الصوت (Voice Pitch)

**النوع الاول :** النغمـــة (Tone)

وفيه تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز ، على مستوى الكلمة ، ولذا تسمى : تونات الكلمة (Word Tones)

**النوع الثاني :** التنغيم (Intonations) أو التنوعات النغمية (Intonation Tones) وهى تتابعات مطردة فـى مختلف الدرجات الصوتية علـى جملة

كاملة ، أو أجزاء متتابعة ، وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة أو العبارة ، أو مجموعة الكلمات .

ومعظم اللغات ، يمكن أن تسمى لغات تنغيمية ، لانها تستخدم التنوعات الموسيقية فى الكلام ، بطريقة تميزية تفرق بين المعانى . أى أن التنغيم موسيقى الكلام ، ويستخدم للتمييز بين المعانى ، والدلالة على معان اضافية ، كالتأكيد والانفعال والدهشة والغضب ، والاصوات الموسيقية ، هى كل صوت ترتاح اليه الاذن وتتلذذ لسماعه ، وتستقبله ، ويختلف بعضها عن بعض من ثلاثة وجوه :

أ) الدرجة .

وهى الخاصية التى تميز بها الاذن بين الاصوات الحادة ، والاصوات الغليظة .

ب) الشدة .

كلما بعد مصدر الصوت ، ضعف تأثيره فى الاذن ، ويقال حينئذ : إن شدته أخذت فى النقصان ، وينعت الصوت بأنه شديد أو رخو ، وقوى وضعيف ، فحسب شدته يختلف ارتفاعه ووضوحه .



ج) النوع

والمقصود به اختلاف رنين الصوت ، وهو وصف للصوت ، يميزه عن أصوات متحدة معه فى الدرجة ، فمثلا اذا سمعنا عدة أصوات من درجة واحدة من مصادر مختلفة أحدهما من (بيانو ، والآخر من قانون ... الخ) فانه يمكن التمييز بينها بسهولة من حيث رنينها فى الاذن ، وبذلك يقال : إن تلك الاصوات مختلفة فى رنينها أو لونها .

وتشترك الاصوات الكلامية مع الاصوات الموسيقية ، فى ثلاثة جوانب ، هى :

أ) النطق بتلك الاصوات .

ب) انتقال تلك الاصوات فى الهواء .

ج) استقبال الجهاز السمعى لتلك الاصوات .

وكما تختلف الاصوات الموسيقية من عدة جوانب ، فالحروف أو الاصوات الكلامية ، تختلف من حيث درجتها تبعا لاختلاف مواطن خروجها ، ومنافذ ظهورها ومناشيء خلقها .

فصوت (الحاء والهاء) مثلا ، غير صوت (الميم والنون) ، لان الصوت الاول مواطن ايقاعه الحلق ، والصوت الثانى موطن ظهوره ( الشفاه ) ، كما تختلف أيضا من حيث رنينها ، كما اختلفت الاصوات الموسيقية من هذه الناحية ، فقد يتفق حرف من المخرج ، ولكنه يختلف فى الصفات ، كما يقول علماء الاصوات أو علماء التجويد ، فمثلا (الف المد) موطن حلقها الجوف ، وهى مع ذلك تارة تكون ذات صوت ضخم مفخم كما فى كلمة (صال) و (طال) ، وتارة تكون ذات صوت رقيق ، كما فى (باع) ، مع أن موطن ايقاعها لم يتغير .

كما تختلف أيضا الاصوات الكلامية من حيث الشدة والرخاوة ، فـ (الطاء ــ الراء ــ القاف) ، حروف شديدة لا تخرج الا بعد ضغط عليها واعتماد على موضع بروزها .

أما (الثاء والظاء) مثلا فهى حروف رخوة لينة ، لا تطلب ضغطا ولا اعتمادا ، بل هى ترتخى عند النطق بها ، وتلين حين توقيع صوتها .

هذا شأن الحروف ، أما الكلمات المؤلفة ، والجمل المركبة ، فاختلاف موسيقاها أبين ، وتباين أصواتها أظهر .



وبصفة عامة ، فالكلمة العربية بحروفها تؤلف لحنا موسيقيا أجزاؤه تناسب أجزاء المعنى تناسبا موسيقيا .

**ثانيا : البناء .**

والبناء هو العنصر الثانى الذى يشترك فيه كل من الموسيقى والكلام ، حيث أن كل من **البناء الموسيقى** و **البناء الكلامى** ، يقومان على :

أ) عرض أو تقرير معنى ناقص .

ب) استكمال المعنى بتقرير جوابى .

وبهذا يستكمل لدينا ، ما يسمى بالجملة ، سواء فى الموسيقى أو الكلام .

**الجملة :** والجملة الكلامية تتكون عادة من عبارات متسلسلة بصورة منطقية ، كذلك الحال بالنسبة للموسيقى ، نجد أن الخطوة الاولى نحو خلق

معنى موسيقى متصل متكامل ، هى الجمع بين عبارتين موسيقيتين أو اكثر ، لتتكون منها جملة موسيقية . وأبسط الجمل ، هى التى تتكـون من عبارتين متساويتين فى الطول ، احداهما تعادل (المبتدأ أو المسند) فـى لغة الكلام والثانية تعادل (الخبر أو المسند اليه) .

**العبارة :** وتعد أصغر وحدة موسيقية يمكن ادراكها ، الا أنها قلما تعطـى شعورا بالراحة والرضا والاكتفاء فهى وحدة تتكون من بضع مازورات بقفلـة أو ركوز معين ، والعقل والعواطـف جميعها تتطلب عبارتين أو أكثر ، لكـى تتعادلا ، ولكى تضيف كل منهما الـى معنـى الاخرى ، فيتم بذلـك البنـاء الموسيقى(The Structure of Music) وتختلف العبارات فى طولها ، من ثلاث الى ست موازير ، وأحيانا توجد عبارات أطول من ذلك أو أقصر، غير أنها نادرة.

والعبارة المؤلفة من أربع موازير ، هـى الاكثر شيوعا ، حتـى أنهـا تعد نموذجا للعبارة الطبيعية للكثيرين ، غير أنه لا يمكن اعتبار العبارة المكونـة من ثلاث موازير أو خمس موازير ، غير طبيعية (شاذة) ، وكل ما يمكن قوله إن العبارات ذات الاربع موازير ، وسهولة تقسيمها عقليا الى أنصـاف وارباع تجعلها أقرب تقبلا للغريزة الانسانية التى تتطلب اطراد النبر القوى ، وهى ما تسمى بالايقاع الجسدى .



ويوجد الكثير من العبارات ، يمكن أن تنقسم داخليا الى قسمين أو أكثر (Sections) ويمكن أن تتكون من تكرار نماذج أصغر يكون لها طابع ايقاعى ولحني متميز يسيطر على القطعة كلها .

وهكذا نجد أن التكوين البنائى بما يحتويه من أصوات يكـاد يكون واحدا بين كـل من المـوسيقى والكـلام ، وكمـا أن العبـارة والجملـة مصطلحـان يستعملان فى الموسيقى والكلام ، فهناك أيضا مصطلحات متشابهـة أخرى ، مثـل :

**التطويــــل :**

وهو فى الموسيقى يشبه الـى حد كبير التطويل فـى الكلام ، فهو فـى كليهمـا تنميـة للجملة الموسيقية أو الكلامية .

فالتطويل فى الموسيقى ينم عن طريق التنويع الايقاعى ، بحيث يستغرق عددا من الموازير ، وذلك اما بتكرار مـازورة تكرارا تسلسليـا ، أو تطويل القفلة ، أو بواسطة الحشو قبـل القفلة ثم العودة الى القفلة ، والتى تنتهـى بنهاية طبيعية .

**الوقف و النقطة و القفلة و الركوز :**

الوقف والنقطة من الكلام ، والقفلة والركوز فى الموسيقى ، فكما يوجد فى الكلام مصطلحات ذات مفهوم خاص ، كعلامة الوقف ( : ) والنقطة وما اليها ، نجد فى الموسيقى ما يشابه ذلك ، فنجد فى الموسيقى الغربيـة ما يسمـى بـ ( القفلات ) (Cadences) وهى ثلاثة أنواع :

أ) نوع يوحـى بالشعور بالراحة ، ويتضمـن القفلـة التامـة ، والقفلـة الدينية .

ب) نوع يوحى بعدم الانتهاء ، ويتضمن القفلة النصفية (وتسمـى أحيانا القفلة غير التامة) .

ج) نوع يوحى بالمفاجأة أو المقاطعة ، ويتضمن القفلة المفاجئة .

وفى الموسيقى العربية يوجد ما يسمى بـ ( الركوز ) :

أ) ركوز تام ، وهو الذى يوحى بالشعـور بالـراحة ويستقر على أساس المقام ، ودائما ما يكون فى نهاية الجمل .

ب) ركوز مؤقت ، وغالبا ما يستقر على غماز المقام ، ويوحـى بالشعور بعدم الانتهاء .

**ثالثـا : النبر**

والنبر فى الكلام هو الضغط على أحد المقاطع ، بحيث يتميز عن غيره من مقاطع الكلمة ، ويزداد وضوحا فـى السمع ، وهذا الضغط يبرز الصـوت ، وهذا البروز يتحقق عندما يكون الصوت أوضح وأطول وأعلـى ومتميزا مـن حيث الدرجة . والمتكلم ينطق المقطع المنبور بقوة اكثر من المقاطع المجاورة لـه فـى الكلمة أو الجملـة أمـا الاثر السمعـى المرتبط بـالنبـر ، فهـو العلـو (Loudness)

والنبر فى اللغة العربية ، خاصة لهجية ، تميز نطق جماعة عن نطق جماعة أخـــــرى .

أما النبر فى الموسيقى فهـو ضرورى ، بدونه تصبح على وتيرة واحـدة تبعث الملل فى النفس ، فى نفس المؤدى والمستمع ، وللنبر فى الموسيقى أنواع ثلاثة ، هـــى :

أ) النبر (الضغط) **القياسى .**

وهو يتضح لنا من خلال ميزان القطعة ، وكل ميزان يختلف عـن الآخر ، من حيث مواضع النبر فيــه .

ب) النبر (الضغط) **الايقاعـى .**

وينبع من التركيب الداخلى لبعض الايقاعات مثل  فكل شكل ايقاعى له شخصيته المميزة .

ج) النبر (الضغط) **العــاطفى .**

وهو يأتى بقصد التعبير عن فكرة أو احساس معين ينبع من داخل المؤلف الموسيقى ، وأحيانـا يستخدم علـى الوحدات الضعيفة ممـا يوحى للسامع بتغير الميزان ، ويقصد المؤلف من ذلك تأثيرا معينا على المستمع ، ويسمى فى هذه الحالة سنكوب (Syncope) بمعنى تغييـر للمواقع الطبيعية المألوفة للنبر الموسيقى ، وأماكن الضغط القوى) وتنويع النبر فى الموسيقى العربية ، يعطى لها لهجـات خاصة تميز ألوانهـا المختلفة المنتشـرة علـى مساحة خريطة الوطن العربى الكبير ، مثل ألوان الغناء (الخليج ـ العراق ـ المغرب العربى الكبير ـ مصر ـ الشام)



كما أن هناك بعض المصطلحـات نستعيرهـا من المصطلحـات اللغـوية ، للتعبير بها عن الموسيقى ، وهذه المصطلحات هـى :

**أولا : حسن الابتداء :**

وعادة ما تكون البداية سواء كانت فى الكلام أو الموسيقى أول مـا يقرع أذن السامع ، فيستدل علـى ما عنده من أول وهلـة ، فينشرح لـه صدره ، وتهتز له نفسه ، وينساق الى الاصغاء اليه .

فحسن الابتداء فى الكلام ، لا يصح أن نأتى فيه بألفاظ مستكرهة ، بـل يجب أن يشعر السامع فى ابتداء الكلام بالغرض المقصود منه ، من غيـر أن يكون مشتملا على تعقيد .

أما حسن الابتداء فى الموسيقى ، فلا يصح أن نأتـى فيه بأيـة علامـات تحويلية غريبة (عارضة) عن المقام الاصلى الا فـى حدود مساراتـه اللحنية

المتعارف عليها ، ولا نأتي بأي تلوين مفاجيء ، يفقد المقام الاصلي لونه وطابعه وخصائصه وشخصيته .

**ثانيا :** حسن التخلص :

وحسن التخلص الكلامي ، هو الانتقال في الكلام من معنى الى معنى آخر أو الانتقال الى المعنى المقصود من غير أن يشعر المخاطب بالانتقال ، وهذا يتطلب مهارات عالية المستوى لاجادة هذا .

كذلك فحسن التخلص في الموسيقى ، يعني الانتقال من مقام الى آخر بطريقة ملائمة ، يتذوقها ويستمتع بها ، وهذا بالطبع لا يتوافر الا اذا كان الملحن أو العازف أو المغني على دراية كاملة لمقامات الموسيقى العربية وخصائصها ، وكيفية الانتقال من مقام الى مقام آخر ملائم ، وهذا بالطبع يحتاج لمهارة عالية في القدرة على التلوين النغمي وحسن التخلص سواء من مقام الى آخر ، أو من مقام انتقل اليه الى المقام الاصلي (الاساس) .

**ثالثا :** حسن الخاتمة (حسن الانتهاء) .

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

« وختامه مسك» صدق الله العظيم .

كما يقول ابن رشيق « وخاتمة الكلام أبقى في السمع والصق بالنفس لقرب العهد بها ، فاذا حسنت حسن ، وان قبحت قبح » .

فعند الكلام اذا أراد المتحدث انهاء حديثه أو قطع كلامه ، فيجب أن يشعر الناس في شيء من اللطف والادب والذوق والاحساس ، أنه قد انتهى حتى لا يظل السامع في اصغائه وتطلعه وترقبه للمزيد من القول ، ويتبع ذلك الا يدع موضوعه كالثغرة المفتوحة ، فاذا كان أول الكلام مفتاحا له ، وجب أن يكون آخره قفلا له ، أي أن حسن الانتهاء في الكلام بمعنى الانتهاء من الكلام بحيث لا يحس المخاطب منه أن المعنى ناقص ، أو أن الانتهاء جاء بصورة مفاجأة غير مترقبة .

كذلك أيضا حسن الانتهاء في الموسيقى ، ينطبق عليه مثل ما وضحناه من حسن الختام بالنسبة للكلام ، فيجب الركوز التام والذي يستقر على أساس المقام ، ويستحسن أن يكون على نبر قوي ، ومن قبل هذا يكون التمهيد المناسب لذلك ، وحتى يتهيأ المستمع ويشعر بقرب الختام ، كذلك لا بد من الحبكة الفنية في النهاية ، وخاصة في نهايات التقاسيم وأداء الليالي والموال .

## المـــراجـــع :

د. احمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغـوى مطابع سجل العـرب (ط ١) عام 1976 ـ مصر .

أسعد محمد على : مدخل الى الموسيقى العراقية . سلسلة الكتـب الحديثة (66) ، دار الحرية للطباعة ـ بغداد 1974 م .

ابن رشيق : العمدة . ( ط ١) ـ (ج 2) ، تحقيق محيى الدين عـبد المجيـد ، الادب والبلاغة ، مطابع الناشر العربى ، عام 1959 م ـ القاهرة .

ابراهيم علي أبو الخشب والدكتور أحمد عبد المنعم الباهى : دراسـات فى البلاغة ، مطابع الناشر العربى ، عام 1959 م ـ القاهرة .

البشير بن سلامة : نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى ، الدار التونسيـة للنشر 1984 .

د. حامد حفنى داود : تاريخ الادب العربى فى العصر العباسـى الاول ، دار التضامن للطباعة ـ القاهرة عام 1977 م .

س . ث . ديقى : التأليف الموسيقى ، ترجمة د. سمحة الخولى ، مراجعـة د. حسين فوزى ، مطابع دار المعارف ـ 1965 م ـ مصر .

د. عبد العزيز مطر : لحن العامية فى ضوء الدراسـات اللغويـة الحديثة ، الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة .

د. عطيات عبد الخالق و د. ناهد حافظ : فن تربية الصوت وعلم التجويـد ، مكتبة الانجلو المصرية ـ مصر عام 1983 م .

علي الجندي : الشعراء وانشاد الشعر ، مطابع دار المعارف ـ مصر 1969 م

د. نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعـاصرة ، سلسلة عـالـم المعرفة ـ سبتمبر 1978 ـ الكويت .

## المجـــلات :

مجلة الفن الاذاعى : ع (32) السنة (9) عام 1965 م القاهـرة ، ع (10) يناير 1959 ـ القاهرة .

مجلـة المجلـة : (85) السنـة (8) يناير 1964 م ، ع (27) السنـة (3) 1959 م القاهرة .

مجلة الفكر : ع (1) اكتوبر 1978 م ـ تونس .

مجلة الثقافة : ع (61) السنة (6) 1978 م ـ القاهرة .

مجلة الموسيقى والمسرح : ع (14) السنة (2) عام 1948 م ـ القاهرة .

# قصائد إلى الضفة الأخرى

## شعر: أحمد صنديد

### ① عبـور

اذا ما نمت يا سمرا — وأغفت اعيني الحيرى
فطوفي بين أضلاعي — ففي التّطواف لي بشرى
بأن القلب مفتون — وتلك الفتنة الكبرى
كفاني اليوم ما ألقى — وما ألقى به أدرى
أنا الملاح في يمّ — وانت الضفة الأخرى

### ② انت المنى

طوفت في كل المنافي — حلقت في الجو الخرافي
جبت المدائن والقرى — في البحث عن أحلى الضفاف
عدت المتيم بالهوى — والحب مازج للشغاف
يا تونس أنت المنى — أهواك يا أحلى المرافي



### ③ قريتي

أتيتك أحمل بين الضلوع — فؤادا له رغبة في الغناء
يطير به الشوق في كل واد — ويدفعه الحبّ للانتشاء
أتيتك يا قريتي في الصباح — وقد ماس نخل بدون انحناء
أيا واحة في ربوع الجنوب — ويا صرح حب جميل البناء

### ④ الندامى

ندامى الحي ما ناموا — وما ملوا من الحب
لهم في الدرب آيات — غدت كالمورد العذب
تعالوا يا ذوي القربى — من الخلان والصحب
تعالوا واسمعوا مثلي — لصوت العاشق الصبّ

### ⑤ فشل

هبت رياح عواتٍ — عبر الليالي الشواتي
قد دمرت كل شيء — شيدته في حياتي

# ملامح في القصة القصيرة عند حياة بن الشيخ

بقلم: رابح لطفي جمعه
(القاهرة)

**حياة بن الشيخ بين كاتبات القصة القصيرة فى تونس :**

تزخر الساحة الادبية المعاصرة فى تونس بالعديد من كاتبات القصة القصيرة من أمثال حياة بن الشيخ ونافة ذهب وهند عزوز وفاطمة سليم وبنت البحر وناجية ثامر ودليلة الزيتوني وفاطمة حيدرى ورشيدة التركى وشفيقة الساحلي ونتيلة التباينية وحفيظة يمن وشريفة عرباوى وغيرهن .

وقد برزت موهبة معظمهن فى كتابة القصة القصيرة أول ما برزت على صفحات مجلة « الفكر » الغراء التى لها دور محمود فى ازدهار وانتشار القصة القصيرة ، وكذلك مجلة « قصص » التونسية التى يصدرها نادى القصة بتونس ، كما أن لبعضهن مجموعات قصصية منشورة كمجموعة بنت البحر المعنونة « الطفلة انتحرت » ، ومجموعة « بلا رجل » لحياة بن الشيخ ، ومجموعة « أعمدة من دخان » لنافلة ذهب ، ومجموعتى ناجية ثامر « أردنا الحياة » و « سمر وعبر » وغير ذلك من مجموعات القصص القصيرة .

وبطبيعة الحال تتفاوت مقدرة أولاء الاديبات فى ممارسة فن القصة القصيرة والاخذ بقدر أو بآخر ، بتقنياتها وأصولها وقواعدها المتعارف عليها فى مدارس النقد الحديث ، سواء فى ذلك من حيث البناء والنسيج أو الشكل والمضمون وما يتصل بذلك من الاسلوب واللغة واستعمال الحوار الداخلى والمجوء الى البناء الدائرى « فلاش باك » والحبكة القصصية وتصوير المواقف ورسم الشخصيات واستخدام الرموز وغير ذلك من تقنيات القصة الحديثة .

وهذا كله لا يعنينا الآن فى دراستنا الحالية وربما تناولناه فى دراسة أخرى، وانما الذى يعنينا هو الحديث عن بعض الملامح والسمات البارزة فى القصة القصيرة عند الكاتبة الشاعرة والاديبة الواعدة حياة بن الشيخ •

حقيقة ان الفن القصصى عند أديبتنا حياة لم يكتمل نضجه تماما ولم تتملك بعد ناصية هذا الفن ولم تشق طريقها نحو الاكتمال والنضج ، ومع ذلك فاننا لا ننكر عليها أنها تقترب من تقنيات القصة القصيرة بمفهومها الحديث اقترابا وان لم يكن ملاصقا الا أنه يدل على أن الكاتبة تدرك بشكل جيد وكيفية واعية فنيات القصة القصيرة الحديثة المعتمدة على مبدأ الوحدة ؛ وحدة الدافع ووحدة الهدف ووحدة الحدث ووحدة الانطباع ، وعلى الصياغة المكثفة المركزة ودرامية الحدث القصير المتطور المتنامى ، والزمن السريع وعنصر التشويق واللغة الايحائية البسيطة التى تساعد على خلق الجو العام ، والمضمون المختفى بين أبعاد الرؤية ، والقدرة على رسم الشخصيات وتصوير المواقف والمشاهد والوصف والسرد والتحليل والحوار الخارجى والمناجاة الباطنة « مونولوج انتريور » ، وابراز أثر البيئة فى العمل الفنى والتأكيد على بعض القيم الاجتماعية والمثل الاخلاقية من خلال نبرة الغضب والسخط والثورة والتمرد والشكوى وعدم الرضى التى تعلو أحيانا علو زاعقا فى الكثير من أقاصيصها ، كل ذلك فى ألفاظ رشيقة ذات دلالات بلاغية موحية لا تخلو من شفافية وشاعرية مع الحفاظ على الخط العام القصصى .

## نزعة السخط والغضب :

فالكاتبة تتميز فى أقاصيصها بتصوير الموقف فى عبارات مركزة مكثفة وجمل قصيرة موجزة تلائم المضامين المطروحة وتعبر عن صراع الاعماق ، صراع الاحلام المرتبطة بصخرة الواقع بكل آلامه وعذاباته ومعاناته ومفارقاته ومتناقضاته ، وكثيرا ما تتصارع فى كتاباتها القصصية هموم اللحظة بين ما هو كائن وبين ما ينبغى أن يكون ، بين الحلم والحقيقة ، بين الخيال والواقع ، بين الامل والالم ، بين ما يريده الانسان وما يراد به ، ومن هنا فاننا نلمس بوضوح أول ملمح من ملامح القصة عند حياة بن الشيخ وهو نبرة السخط والتمرد والرفض والغضب لكل قبيح وذميم ومرذول ، وتعرية الزيف والنفاق والخداع والانتهازية والوصولية والتهريج ونشدان حياة يسودها العدل الاجتماعى وتكافؤ الفرص وقيم الخير والحق والجمال •

## التيـار الـواقعي النقـدى :

ومن هنا نستطيع أن نقول أيضا : إن كتابات حياة بن الشيخ القصصية تجنح الى تيار الواقعية النقدية التى حاولهـا فلوبيـر وبلـزاك وموباسـان واستنـدال وادمـون دى جونكـور وتشيخـوف وتولستـوى وتـورجنيـف ودستوفسكى فى كتاباتهم القصصية وحاولوا فيها أن ينظروا الى الواقع نظرة تكشف عن حقيقته بكل مساوئه وتناقضاته وصراعاته بعيـدا عـن الظـاهر الزائف الذى يتحلى بالاخلاق والمثل الخيرة على سبيل تغطية مطامعه الخبيثة .

والواقعية النقدية ـ كمذهب أدبى ـ تميل بطبيعتها الى الرفض والتشاؤم ، لان الشر بالنسبة اليها عنصر أساسى فى النفس البشرية ، ومن هنا فهى ترى أن كل مهمتها تتركز فى الكشف عن حقيقة الطبيعة البشرية وسلوكيات الشر من خلال علاقات بعضهم بعض ، أما تغييـر هـذه الطبيعـة أو تلـك السلوكيات أو تحطيمها أو اصلاحها أو اقتراح العلاج وطرح الحلول ، فليس هذا من اختصاصها ، لان الفنان والاديب ليس مصلحا اجتماعيا يبحـث عـن إجابات وحلول لمشاكل المجتمع ، وانما يكتفى بالقاء الاسئلة وطـرح القضايـا التى تكشف الواقع وتعريه مهما كانت الحقيقة قاسية ومؤلمة ومريرة وقبيحـة أيضـا .



ولا يعنى ذلك بطبيعة الحال أن الواقعية النقدية تدعو الى السلبية واليأس والاستسلام ونفض اليد من مشاكل المجتمع والهروب من الـواقع المعيش ، والاكتفاء بتعرية هذا الواقع وتصويره كما هو بكل ما فيه من تداخل وتعقيدات وصراعات ومتناقضات وعرضه كما هو بالفعل ، وانما الفنان والاديب يستطيع من خلال انتهاج التيار الواقعى النقدى أن يدلى بوجهة نظره فى الواقع المحيط به ابتغاء تحويله وتطويره الى مجتمع جديد ، وأن ينفذ ببصره وبصيرتـه الى أعماق أبعد ورؤية أوضح ، ويضرب الناقد أرنست فيشر مثلا لذلك بالروائى الفرنسى الواقعى استندال الذى كان فى حكمه على الواقع الاجتماعى لعصره فى الايام التالية للثورة أصدق بكثير من الرومانسيين المتطلعين الى الـوراء واجترار ذكريات الماضى .

على أننا نعتقد أن أديبتنا حياة فى انتهاجها التيار الواقعى النقدى لم تلتزم فى تعبيرها عن الواقع بوجهة نظر عقائدية معينة ، وانما هى تكتب بدافع من احساسها بما يدور حولها وادراك واع منها لحركة المجتمع الـذى تستلـزمه

المرحلة الحضارية التى يمر بها ، فهى تعبر عن هذا الواقع كما انطبعت صورته فى وجدانها ومشاعرها ، متطورة مع قضايا المجتمع ومشكلاته ، مبتعدة عن أن يكون فنها وابداعها أداة لمذهب سياسى أو وسيلة دعائية لحزب أو بوقا لفكرة.

## رفض الواقع الممزوج بالسخرية :

قلنا : إن أول ملمح من ملامح القصة القصيرة عند حياة بن الشيخ هو نبرة السخط والتمرد والاحتجاج ورفض الواقع الممزوجة بالتهكم عن طريق التلميح والغمز واللمز والرمز والسخرية من الاوضاع الاجتماعية المعيشة ، وإثارة خيال القارىء بكيفية تمكنه من القاء نظرة جديدة الى هذا الواقع الذى يحيط به من كل جانب ، بل وتؤدى أحيانا الى اعمال الفكر واطلاق الملكات الانسانية الكامنة فيه ، فيشعر حينئذ بأنه قد آن الاوان للتيقظ من الغفلة ونفض آثار الكرى عن جفنيه وتغيير حياته .

ونعتقد أن كاتبتنا قد تأثرت فى كتاباتها القصصية بكتابات الادباء والشعراء الرافضين المتمردين الغاضبين منأمثال جون اسبورن وجون وين من الذين عالجوا فى رواياتهم ومسرحياتهم السلوك الاجتماعى والفردى فى مجتمع ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وعالجوا مشكلات الجنس والسلطة والفقر واليأس بمفهومها المعاصر .



فنزعة الغضب والاحتجاج والسخط وعدم الرضى يتسم بها الادب الاوربى فى العصر الحديث ويمثلها أصدق تمثيل الكاتب المسرحى « جون اسبورن » زعيم مدرسة الشباب الغاضبين فى انجلترا ومؤلف مسرحية « انظر خلفك فى غضب » وكذلك « جون وين » الذى يقول : « أنا غاضب على هذا المجتمع ... لانه يستعبد الانسان ويعبد الآلة » .

## نماذج لنزعة السخط وعدم الرضى فى كتابات حياة بن الشيخ القصصية :

لقد عبرت حياة بن الشيخ من خلال شخصيات العديد من أقاصيصها القصيرة عن نزعة الغضب والسخط وعدم الرضى ، ولعل أبرز مثال لذلك أن تكون قصة « الجدار والأفق » (1) ، ففى هذه القصة تعبر الكاتبة عن هذه

(1) مجلة « قصص » ، عدد 57 ، يوليو سنة 1982 ، ص 65 .

النزعة من خلال شخصية موظف يصب جام غضبه ويفرغ سخائم نفسه وحقده وكراهيته على كل ما حوله وكل من حوله ، على نظام العمل فى المصالح الحكومية وعلى المرأة والفن والثقافة والصحافة ، وتستخدم الكاتبة فى هذه القصة أداة الحوار الداخلى أو المناجاة الباطنة للتعبير عن مشاعر السخط وعدم الرضى التى تعتمل فى نفس هذا الموظف والتى تكاد تحرقه وتخنقه .

والجدير بالملاحظة فى هذا الصدد ان الكاتبة استطاعت ان تفرغ هذه الشحنات الدافقة من الغضب والسخط بمقدرة ومهارة فى عبارات قصيرة موجزة وجمل مركزة مكثفة وكلمات بسيطة موحية ، أشبه بلقطات سريعة جمعتها من هنا وهناك أو ومضات خاطفة وزعتها هنا وهناك ، كأن الكاتبة أشبه بالفنان التشكيلى الانطباعى ذى اللمسات السريعة والضربات المركزة بالفرشاة بهدف الحصول على تأثيرات قوية وسريعة ومساحات زاخرة بالاضواء والالوان ذات انفعالات مثيرة .

فقصة الجدار والافق تكاد تكون أنموذجا مثاليا لنزعة الغضب ونبرة السخط التى تكاد تنتظم جل أقاصيص أديبتنا حياة بن الشيخ لولا ما شاب نهايتها من اقحام قصة الملك العابث الذى يعيش بين الجوارى والخصيان والمغنين والشعراء المداحين المتملقين ولا يستمع الى نصيحة رجل جرىء من أبناء الشعب قال له ذات يوم : « مولاى الظلم يتفاقم .. القوم يحتضرون .. ألا من لفتة رحمة » . فهذه القصة المقحمة على رمزيتها وخدمتها الى حد ما للمضمون المطروح ، الا أنه لم يكن لها محل فى سياق القصة الاصلية وتعتبر حشوا لا لزوم له وغير مناسبة لجو القصة العام .

## صرخة احتجاج فى وجه الفساد الاجتماعى :

كذلك من نبرات السخط والرفض المميزة فى أقاصيص حياة بن الشيخ تلك النبرة التى تعلو زاعقة فى وجه الظلم والفساد الاجتماعى والانتهازية والوصولية والتملق والتهريج واحتكار الفرص والثراء الفاحش الذى يتمتع به البعض والتفاوت الكبير بين طبقات المجتمع ، وهذه كلها بطبيعة الحال أوضاع قائمة وأدواء مستشرية فى جميع المجتمعات البرجوازية تعانى منها الطبقات الفقيرة وتعانى من التناقضات والمشكلات الناجمة عنها ، كمشكلة الزواج ومواجهة أعباء الحياة الزوجية وتأسيس منزل الزوجية مع العجز المادى عن ذلك ، وما يترتب عن هذا من تضييع فرص الزواج فى وجه الشباب بسبب هذا العجز المادى عن مواجهة تكاليفه ، وشعور الشباب بالاحباط والضياع

والسخط الى حد اليأس والاستسلام أحيانا ، واهتزاز القيم والمثل العليا أمام أعينهم أحيانا أخرى، الى حد الانحراف والبحث عن الثروة بأية وسيلة وعن أي طريق ولو كان عن طريق الجريمة و التفريط في الشرف .

وتبدو هذه النبرة الساخطة الغاضبة الرافضة باختلاف ألوانها وايقاعاتها أوضح ما تكون في قصة «لم يكن هو الاقوى» (2) التي يبحث فيها البطل عن المال عن طريق الجريمة و «البلطجة» . كذلك قصة « خطوط فوق جدار الجحيم » (3) التي تسلط فيها الكاتبة الاضواء على أساليب الانتهازيين والوصوليين والبهلوانات المتسلقين الذين تجرى الاموال بين أيديهم ، وفيها يقول البطل : « تخامرني فكرة لو أصبح بهلوانا ... أحسن مهنة تدر الاموال الطائلة وتفتح أمام صاحبها أبواب الرزق ... العالم الآن لا يصفق الا للبهلوانات فلأجرب حظي ربما أصبحت زعيما لبهلوانات هذا البلد » .

كذلك قصة « الصراصير » (4) ، فانها تفيض من خلال الحوار الخارجي والمناجاة الباطنة بالشكوى والمرارة والسخط على الاوضاع والمجتمع والحياة ، والسخرية من الحب والسعادة مع حياة الفقر ، « فالواقع لا يتطلب الا نقودا ... نقودا وفيرة ... أما ما عداها فسلة المهملات مآله » ، وتثير الكاتبة في هذه القصة مشكلة العجز المادي أمام تكاليف الزواج وتقول على لسان البطل : « في هذه الايام التعسة لم يعد الرجل العاقل يطمح لاكثر من أكلة شهية وامرأة ساذجة يقضي معها وقتا لطيفا ولا يكون غبيا فيرتبط بها ما دامت الامكانيات قد قيدته بأصفاد العجز » .

وفي المقابل نجد الكاتبة في قصة « حين يجن الجنون » (5) تصور لنا تطلعات فتاة من طبقة فقيرة تنشد الزواج من رجل ثري وتهزأ بحديث فتاها عن القناعة والقيم والمثل العليا ، وتسخر من العمل الاداري الذي لا يدر الا دخلا ضئيلا ، كما تهزأ من نظام الشراء بالتقسيط ، شراء مسكن الزوجية وتأثيث هذا المسكن ، وتغريها ثروة رجل ينساب المال بين يديه وتهفو الى حياة الطبقة الراقية الزاخرة بالرفاهية ، طبقة الارستقراطية التي يذوب العمر رخيصا في سبيل الوصول اليها وتقول : « أنا أكره الفقر والحياة لن تكون

---

(2) مجلة «قصص» ، عدد 59 ، جانفي سنة 1983 ، ص 32 .
(3) مجلة «الفكر» ، السنة 29 ، عدد 5 ، فيفري سنة 1983 ، ص 69 .
(4) مجلة «الفكر» ، السنة 27 ، العدد 5 ، فيفري سنة 1982 ، ص 81 .
(5) مجلة «الفكر» ، السنة 27 ، العدد 8 ، ماي سنة 1982 ، ص 57 .

سوى معاناة وتقشف سام ... الحب ترف لا يجوز للفقراء التفكير فيه .. متى سننعم بالعدالة الاجتماعية ..؟ وهم لن يجد طريقه فى هذا البلد» .

ويحاول الرجل أن يعتدى على الفتاة بعد أن اكتشفت حقيقة أمره وبأنه متزوج من سيدة أجنبية ثرية فتقاومه الفتاة مقاومة شديدة ،، فيطردها من شقته عارية بعد أن يكون قد ألقى بثيابها الى الشارع فتصاب بانهيار عصبى وتدخل مستشفى الامراض العقلية حيث تهيىء لها الاوهام فكرة الاتجار بالضفادع « أكلة الاثرياء » حتى تصبح غنية ثرية .

كذلك قصة « حفنة أيام من الزمن الميت » (6) ، وهى قصة فى شكل يوميات تعبر فيها أديبتنا من خلال كاتب هذه اليوميات عن بعض مشاعر التمرد والسخط والغضب الممزوجة بالتهكم والسخرية كحديث كاتب هذه اليوميات عن الكفاءات المطلوبة فى المجتمع وهى : « النهب والانحطاط الخلقى والرياء والنفاق والشذوذ والسادية » .

**التطلع إلى واقع أفضل :**

وعلى الرغم من نزعة السخط التى تكاد تسرى فى جميع أقاصيص حياة بن الشيخ ، فان بعض أبطال هذه الاقاصيص يتطلعون الى واقع أفضل كما نلاحظ فى قصة « حفنة أيام » المشار اليها آنفا ، حيث يقول بطل القصة : « الحياة جائعة ... ليست فى حاجة الى اشعاعات ذرية أو أقمار بقدر ما هى فى حاجة الى نفحات ود ونسائم انسانية تعيد النفس المفقود الى روح الخير المتخاذلة » .

وهذا التطلع الى الافضل والاحسن نلمسه أيضا أوضح ما يكون فى قصة « الغرباء » (7) وفيها تدير بطلة القصة حوارا داخليا بينها وبين نفسها تتطلع فيه الى « مجتمع يفهم الحقيقة الاصلية للانسان » وتنتظر انسانا كما تفهمه وتريده وتضع يدها فى يده وتفر معه بعيدا بعيدا ... « نبحث سويا عن نعل الانسانية الممزق ترتقه بوثبة أوهامنا المضيئة ونخيط ثقوبة بأحلامنا التى ما فتئت تراود مثوى الشهب » .. وتقول البطلة فى ختام القصة : « إنى سأعيش أبدا منشطرة الى ثلاثة أجزاء ... ممزقة بين ما أريد وما لا أريد وما يمكن وما لا يمكن أن أريد » .

---

(6) مجلة «الفكر» ، السنة 25 ، عدد 7 ، افريل سنة 1980 ، ص 87 .
(7) مجلة « الفكر » ، السنة 25 ، عدد 2 ، نوفمبر سنة 1979 ، ص 37 .

## وصف المواقف والشخصيات واستعمال الحوار الداخلي :

أما الملمح الثاني من ملامح القصة القصيرة عند حياة بن الشيخ فهي مقدرتها التي لا شك فيها على تصوير المواقف والمشاهد ورسم الشخوص القصصية واستعمال الحوار الداخلي كأداة فنية من أدوات كتابة القصة الحديثة .

ولعله يكون غنيا عن البيان أن كتاب القصة القصيرة يلجؤون فى « التشخيص » أو رسم الشخصيات الى عدة طرق ؛ منها الطريقة التفسيرية للتشخيص وهى أن يصف الكاتب شخوص القصة أو يجرى الحديث عنها سواء بمعرفته أو عن طريق شخصية أخرى ، ومنها طريقة التشخيص الدرامى التى ترينا الشخص فى أثناء تحركه وسلوكه وكلامه وأفكاره ، فنصل عند ذلك كله الى استنتاجات تتصل بشخصيته وأهوائه وعلاقاته بالشخصيات الاخرى فى القصة .

وقد استعملت حياة بن الشيخ فى كتاباتها القصصية هاتين الطريقتين على حد سواء ، فاستعملت الطريقة التفسيرية فى قصة « الصراصير » حين جعلت بطل القصة يصف القهرمانة صاحبة الماخور .

أما الطريقة الدرامية للتشخيص فاستعملتها الكاتبة فى قصة « لم يكن هو الاقوى » عندما جعلتنا نتعرف على شخصية البطل « البلطجى » من خلال حديثه وحركاته ومعاملاته ، وكذلك قصة « الغرباء » عندما جعلتنا نتعرف على بطلة القصة بأنها شخصية متمردة ناقمة ثائرة رافضة معذبة الفكر ثائرة الطموح دائبة التشعلق فى حبال التمرد ، تهفو أن تكون فى يوم ما انسانة كما تحب أن تكون وكما يتحتم ان تكون .

أما تصوير المواقف ، فلعل مشهد محاولة الرجل اغتصاب الفتاة فى قصة « حين يجن الجنون » والصراع والمقاومة التى دارت بينهما خلال هذا المشهد أن يكون نموذجاً لقدرة الكاتبة على تصوير المواقف ، فالتصوير فى هذا المشهد يتميز بالتركيز والتكثيف وتصوير الموقف الدرامى المثير تصويرا دقيقا مشحونا بالحركة والانفعالات ، بالفعل ورد الفعل بكيفية تعكس العلاقات النفسية والخلقية الموجودة فى تلك اللحظة .

## الحوار الداخلي :

أما استخدام الكاتبة لاداة الحوار الداخلي أو تداعى الافكار ، فالملاحظ أنها عمدت الى استعمال هذه الاداة الفنية فى العديد من أقاصيصها .

ولعله يكون غنيا عن البيان أن نذكر هنا أن رائد استخدام فن الحوار الداخلي في الادب الروائي العالمي هو الكاتب الايرلندي الشهير جيمس جويس في رائعته « يوليسيز » ، فيكاد النقاد الذين كتبوا عن أدب هذا الناثر الشاعر يجمعون على أنه مبتكر تلك الاداة الفنية التي لم يكن لها سابقة في الاعمال الادبية ، فلم يحدث من قبل أن عرضت بأمانة عمليات العقل بهذا التدفق الجارف كما عرضت في قصة « يوليسيز » ، فأثبت الكاتب في هذه الملحمة الرائعة ما يدور في خلد شخصيات قصته جميعهم ، وقص دون أن يستمع اليهم الا قليلا جميع خواطرهم وانفعالاتهم ومراميهم ومرامهم وأفراحهم وأحزانهم ونجحهم وخيبتهم وماضيهم وحاضرهم وحركاتهم وسكناتهم وما يحيط بهم وما يؤرقهم من ذكريات الماضي البعيد وما يختلج في صدورهم وقلوبهم من الحب والبغض والثأر والغيظ وعشرات أخرى من المشاعر والعواطف والاحاسيس التي لا تستطيع اللغة أن تعبر عنها ، كل ذلك في دقة متناهية محيرة للعقل ، مستعينا في ذلك بالمناجاة الباطنة أو تيار الوعي المتدفق أو ما يعرف بالمنلوج انتريور ، فترك الابطال والشخصيات يتحدثون على سجيتهم بتداعي الافكار ومناسباتها وتأثير المرئيات والمسموعات على الذكريات القديمة والرغبات المكبوتة والاماني المرتقبة التي يخجل المرء أو المرأة أن يبوح بها .

وهذه المناجاة الباطنة أو الحوار الداخلي بما تحمله من تعرية للنفس البشرية بكل فضائلها ورذائلها وكمالاتها ونقائصها هي التي أقامت الدنيا وأقعدتها عندما ظهر كتاب جويس ، فزعم نقاده وحاسدوه أنه مقلد لادوارد دوجاران الكاتب الرمزي ولمارسيل بروست القصاص الفرنسي .

نعود فنقول : ان فن استخدام الحوار الداخلي عند كاتبتنا حياة بن الشيخ ظاهرة واضحة تسربت الى كتاباتها القصصية نتيجة اطلاعها على الآداب الغربية ، فلا تكاد قصة من أقاصيصها تخلو من مثل هذه المناجاة الباطنة وخاصة عند ارتداد بعض شخصيات هذه الاقاصيص الى الماضي ورجوعهم الى الوراء ، على أن القارئ يلمح أحيانا في بعض هذا الحوار نبرة تقريرية مباشرة ، وهذا بطبيعة الحال لا يقلل من قيمة العمل الادبي .

وبعد ...

فهذه بعض الملامح البارزة في القصة القصيرة عند حياة بن الشيخ نرجو أن نكون قد وفقنا الى تجليتها ، ولا نستطيع أن ننكر أن اديبتنا الموهوبة قد أثرت عالم القصة التونسية بعطاءاتها المبدعة ونتمنى منها المزيد من العطاء في هذا المجال .

**رابح لطفي جمعه**
– القاهرة –

# مذكرة الوجع البكر ونخلة الحزن القديم

شعر : هشام المحمدي

يظلّ الكسادُ البدائي مبتهجا .
تتآخى
حقول الضباب :
رُكامٌ .
لظى
وخريفٌ
وقافلةٌ وخلايا رماد .. ،
– لماذا انتقي وجهُها لغة الصبواتِ؟
وفجّ الرّياح
يدمّر سنبلة الرّوح ،
يرتق صخْر الينابيع ،
منشغلا .. ؟
– أتهيأ بين العصافير ..
لحظة ظلّ ..
أمامي
وسيارة من عبير الهدوء البدائيّ
تمخر صحوي ..
تزمجر تفاحةٌ
حيثُ لا ينضج الياسمين ..
أحدّق منهمرا بين زَيْفِ المشاتل
وحْدي ...
تطوّقني بالمَدَى الرّثّ
أعصاب حلم ..
أفتّش عنك باعمق جرح ..
وأعجن
مداخنَةَ الغيب فيّ ..
أسوّي الأحاسيس حولك باهتة ..
وأنام
قليلا من الجمر عمرى ..
أنا الآن
حول سياج المدينة
وامرأةٌ تتخلّل جمجمتي
وحدود الشغور ،،
تمرّ ،
كفاصلةٍ تَتَمَدّدُ بين اللظى والمياه .
ينزّ الهلاك ،

الخراب بقلبي                                    أعْضاءَهُ ،
وتيه الترابيع ينسف أعضاءه عبرنا ،،              يتسكع بين اللظى والدّمار
أحبّ ،،                                          ويمنحني طائر الحزن
أحبّ ،،                                          مغتبطا ،
فينتصف العمرُ بالجمر ،،                          ورماد النهار ..
ينتصف العمر بالبحر ،،                            إلى أين أمضي .. ؟
غائمة تتفكك ذاتي ،                               ويمضي الدم المتفكك هذا المساء .. ؟
ويصدأ عمقي ..                                    تُسَيّجُني
إلى أين أمضي .. ؟                                بالصدى الرّثّ
وذا بلد العنف يفتح مَنْفَاهُ ،                      ريحُ الهلاك ... !

**هشام المحمدي**



ننشر في الأعداد القادمة

مع رحالي مجلة « الفكر »

**من الصين الشعبية الى الولايات المتحدة الامركية**

بقلم : علي العريبي

**مسجد ابن خيرون الاندلسي بالقيروان**

بقلم : د. المنجي الكعبي

# الفكر الاصلاحي من خلال شعر وخواطر الطاهر الحداد

بقلم: رمضان لطيفي

– 2 – (*)

**العلم والوطن وحضارة العرب :**

ككل مصلح أعطى الحداد اهتماما كبيرا للعلم وحث مواطنيه على التمكن منه فقدمه كدواء ناجع يخرج الامة العربية من الظلمات الى النور كما فعل الغرب عصر نهضته فساد على الارض وسخر أهلها . فيقول الحداد فى هذه الابيات :

**اذا ما أردنا أن ننال الرغائبا      فليس لنا غير العلوم مطالبا**
**بها بدد الغرب الضلال وجيشه      وقاد بها نحو الحياة النجائبا**
**بها ذلل الغرب السماء لعزمه      وعمر أرجاء البحار مراكبا**
**وغاص بقلب الارض يطلب سرها      وشاد بها ملكا يشق السحائبا**
**وساد على الدنيا وسخر أهلها      عبيدا رأوا فيه عظيما وغالبا**

هذه الابيات صيحة من صيحات الحداد الذى احترق وهو ينفخ الروح فى جثة أمة هامدة نخرها السوس فمزق أوصالها وبدد أشلاءها ...

وبرؤية مدققة وأسلوب طريف ولغة متينة نرى الحداد فى الخواطر عدد 25 ص 47 يحدد مزايا العلم ويكشف العاجزين من بني وطنه من الذين شكلوا سدا منيعا فى وجه التطور والاجتهاد كما يفضح اتكالهم على التراث المحنط بين حيطان الدواوين فيقول :

(*) انظر « الفكر » ع : 5 – س : 31 – فيفرى 1968 .

العلم قوة تفتح مغالق الغيب لتذلل الطبيعة للانسان فى حسها ومعناها فينتج رزقه وهناءه بسعي ظافر ، ولكن العاجزين يحفظون دروسهم من الكتب ليعيشوا بين حيطان الدواوين عالة على المنتجين ويحبون أن يسودوا عليهم بذلك ، وهذا منتهى الشر الذى يصيب الشعوب المتأخرة .

والحداد فى قصيدته مطالبنا العلوم الى جانب دعوته الملحة للانكباب على العلم والنهل من حياضه وضربه المثل بالغرب الذى امتلك المعرفة ، يشرح المجتمع ويبرز العيوب التى ولدت فى صفوف الشعب الجهل والمهانة وأحنت الرؤوس وجعلت الناس منصرفين للزوايا والقباب قصد التبرك والتلهى فى ضرب الدفوف والطبول كما جاء فى أبياته :

**جهالتنا يا قوم أحنت رؤوسنا وأهلكت العقبى وصبت مصائبا**
**سكنا لعيش الغبن طول حياتنا على أن سنلقى فى الممات الرغائبا**
**وعمدتنا فى ذاك طبل وقبة نؤمل منها أن تصد النوائبا**
**ونحيي بها فى كل عام مواسما وفي كل أسبوع من الرقص أضربا (!)**
**ونرجو بلوغ المجد فى سعى غيرنا كان بلوغ المجد يعطى مواهبا**



وظاهرة التصوف ذات الوجه الآخر للشعوذة التى جاءت فى الابيات نجدها كذلك فى الخواطر تحتل حيزا هاما ، وهى بالتالى ظاهرة سلبية شغلت بال الحداد لما فيها من خطورة على بنية المجتمع فيصفها ويحللها فى الفقرة التالية من الخواطر فيقول :

... نتلهف على التاريخ الذهبى لملوك الاسلام ونقدس علم التصوف وننادى فى دعائنا الى الله بأسماء رجاله الذين عاشوا هائمين فى الارض أو عاكفين فى الزوايا على قليل من الماء والتمر ، يعلمون الناس قذارة الدنيا وحقارة الحياة والاستعداد للموت ، ثم نرفع رؤوسنا معجبين ومفتخرين بما شادته المدنية الاسلامية ... ( الخواطر عدد 32 ص 54 ) .

وقصيدة « مطالبنا العلوم » التى استشهدنا ببعض من أبياتها ، تبدأ بابراز مزايا العلم والمعرفة التى تمكن منها الغرب وسخرها لحاجياته ... ثم تتوغل

في واقع المجتمع التونسي وتكشف نقاط الوهن وتنتهي باستنهاض الهمم وشحذ العزائم ، ورغم الصورة القاتمة التي ظهر عليها المجتمع في هذه القصيدة لاحظنا بصيصا من الامل يشد الحداد لمجتمعه فيخاطبه واضعا اياه أمام الامر المقضي ، لان المجتمع هو القطب الذي يدور حوله فكر الحداد والهدف المحوري لفكره الاصلاحي فنراه يستنهض قومه بقوله :

الا نهضة يا قوم للعلم كلكم    ببذل وأعمال تزيل العواقبا
نجانب فيها الاختلاف الذي غدا    لنا خلقا نزداد فيه تقلبا (!)
فليس لنا في العيش حبة خردل    اذا لم نذلل بالثبات المصاعبا
مدارس نبنيها ونشء نعده    الى الغرب يرتاد العلوم مشاربا

ومن خلال القصيدة التي أوردنا البعض من أبياتها لاحظنا تركيز الحداد على الجانب المضيء لحضارة الغرب الذي عرف كيف يستغل العلوم وكيف يسخر المعرفة لارادته ... الا أن الحداد في مواطن أخرى من شعره ونثره نجده قد هضم الحضارة الغربية وفهم بحدسه أن هذه الحضارة سائرة للزوال لانها بنيت على استغلال الانسان ويبين لنا ذلك في « الخواطر عدد 10 ص 32 » .



الحرية التي تفخر بها أوربا اليوم هي انطلاق أيدي الحائزين في استغلال عمالهم ، ومع ذلك يقال : إن الرق لم يبق موجوداً .

والحضارة التي تبنى على المال دون اعتبار الروحانيات تصبح مدنيتها مرتعا للشياطين تفعل فيها ما تشاء ، كما يبين لنا الحداد ذلك من خلال أبياته التالية :

قد تقضت بها عصور الموالي    واتت بعد دولة الاموال
فتبارت قوى الشياطين فيها    تنهب المال من جهود الرجال
واستعانت بالعلم شادته صرحا    منه طارت لدورة الامال
غير أن الحياة تغزو قواها    بنضال يمشي بها للزوال

فحضارة الغرب مهما استعانت بالعلم فهي زائلة ما دامت حرية الانسان لاغية ومفقودة ، فتصبح فيها الخواطر :

لا وجود للحرية ما دام الانسان حرا فى تسخير الانسان يعطيه بعض العلف ليستمر فى خدمته ( خ عدد 8 ص 30 ) .

## العمال والمرأة وزعماء الشعب :

من المحاور الهامة التى ركز عليها الحداد فى حياته الفكرية القصيرة العمال والمرأة وأفرد لكل منهما كتابا ، يحمل الاول عنوان « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » والثانى « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » ومن خلال قراءتنا للخواطر والاشعار التى توفرت لدينا لم نجد الصدى الكبير للمحورين وما وجدناه فى هذا الباب مجرد اشارات عابرة انصهرت فى تفكير الحداد مع مواضيع أخرى وليدة أحداث عاشها المجتمع التونسى والحداد بصفة خاصة وهو الذى استهدف الى عديد المهاترات انطلاقا من تاريخ تأسيسه مع محمد علي الحامى « جامعة عموم العملة » التى شن ضدها الاستعمار دعاية مغرضة . وتألب ضدها الحزب الاصلاحى والحزب الدستورى « القديم » والقسم التونسى من المجلس الكبير ونشروا بلاغ التبرئة فى 22 فيفرى 1925 بجريدة « النهضة » وكانت غضبة مضرية غضبها الحداد على إثر نشر هذا البلاغ فقد رأى فيه أنه ضرب للمتكوبين من خلف واتحاد على العملة مع أضدادهم الذين يريدون أن يكونوا للعملة الفرنسيين حماية على العملة التونسيين ... وقد عبر الحداد عن فكره فى هذا الاتحاد فى قصيدة له بعنوان « الخيبة » يصف فيه الزعماء : (8)

وكانوا مع الاعداء فى كسر وحدة بها هدد العمال من كان جائرا
جرائم سموها اتحاد طوائف ولكنه منهم أبان السرائرا
فلم نجن من ذا غير خزي اذلنا جميعا ورأس القوم ظل مكابرا

واستمر تكبر الزعماء كما استمر اشعالهم الحرائق وتغذية الفتن فى صفوف شعب مكبل تحت شرنقة جهل القرون الوسطى فى ظل نظام تقليدى مغلوب على أمره ، فنرى الحداد يفرد للزعماء جانبا هاما من الخواطر ، اخترنا منها الخاطرة التالية :

---

(8) انظر كتاب « حياة الطاهر الحداد » ص 114 .

زعماء الشعب هم الذين تكون حياتهم وسيلة متممة لحياته فيذهبون وتبقى أرواحهم وأفكارهم نورا يستهدى به والكاذبون هم الذين يجعلون ظهورهم فى الشعب وسيلة متممة لحياتهم من حياته فيثيرون فيه النار لينتعشوا بحرارتها ويستضيئوا بما فيها من النور دون أن يضعوا فيها ما تأكله حتى لا تفنى ، والنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكل « خواطر عدد 47 ص 74 » .

ركز الحداد على الزعماء فكشف عجزهم وفضح تخاذلهم وبين دورهم السلبي فى قيادة الجماهير ... فناصبوه العداء واستغلوا دراسته حول المرأة واشعلوا ضده فتيل معركة اتهم فيها بالزندقة والالحاد ... دون أن ينطلقوا من محاور الكتاب ، فجاءت مقالاتهم ومقالات تلك المعركة مسطحة خالية من الحجج الدامغة .

وفى قراءتنا لقصائد الحداد التى توفرت لدينا وقراءة أبيات لقصائد مبتورة : تضمنتها بعض الكتب لم نجد ما يدلنا على أن الحداد خصص بعض قصائده للمرأة ، كما فعل سعيد أبو بكر فى تلك الحقبة من الزمن ... وما وجدنا فى هذا الباب سوى شطرة بيت من قصيدة « الحبيبة » تناول فيها الحداد سفور البنت فيقول :

**فهذا كفور ملحد حسبما اشتهوا وذلك للاسلام يرصد ماكرا**
**وعندهم التجديد كفر محقق ورأي سفور البنت أيضا بلا مرا**

كذلك فى الخواطر لا نجد صدى المرأة الا من خلال خاطرة يتيمة ، وحسب رأينا واعتقادنا أن الحداد مل الحديث والكتابة حول هذه المسالة التى أفرد لها كتابا كاملا ومقالات نشرها فى شكل ردود على القادحين فى عقيدته الاسلامية ، وبأسلوب مختزل شفاف يقول فى الخواطر عدد 17 ص 39 :

نحب المرأة ونكرهها : نحبها فريسة بين أيدينا وإن هدمت وجودنا ونكرهها حرة رشيدة معنا ، لاننا نعرف كيف نحصل على اللذة من إثارة أرواحنا وأفكارنا .

**اهتمامات الحداد والمحبطات التى جابهته :**

فى استقرائنا للنصوص موضع الدراسة لاحظنا تركيز الحداد على كشف واقع عصره كشاهد أمين على الاحداث التى عاش تفاصيلها ، محللا إياها

بأسلوب علمي دقيق ومركز بعيد عن الانطباعية ، وفي تحاليله كثيرا ما يضع اصبعه على موطن الداء .

وفي رسمنا للوحة البيانية التالية حاولنا حصر المسائل التى كانت تشغل بال الحداد واهتمامه الداعي للنهوض بالمجتمع والوطن كما وضعنا المحبطات التى وقفت حاجزا أمام فكره الاصلاحى .

| | الاهتمامات | المحبطات |
|---|---|---|
| 1 | العلم | تقديس التراث |
| 2 | النهوض بالدين | تزمت الشيوخ |
| 3 | حرية التفكير | الاستبداد بالرأى |
| | العمال | اتحاد القوى الوطنية : مع الاستعمار |
| - | الاقتصاد | وسائل بدائية ولدت الكساد |
| ٥ | المرأة | حريم مستعبد |
| 7 | الزعماء | ترويج الأراجيف |

أهتمامات جاءت لتنهض وترتقي بالمجتمع

محبطات ولدت التفكير الظلامى الذى أفرز التفسير الخاطىء لمفهوم القضاء والقدر

**القضاء والقدر :**

أمام المحبطات والتفسير الخاطىء .. ساد العجز وتسربت الخيبة فى صفوف

المجتمع وبقي المبرر الوحيد للتستر وراء العجز عند شيوخ النظارة العلميـة ومن ورائهم الزعماء هو القضاء والقدر ، فجاء قول الحداد :

إننا لا نحب أن نسمع الجهر بعيوبنا لاننا لم نفكر فى امكان زوالها ، ولكننا نحب الاعتذار عن خيباتنا فى الحياة بالاقدار الالاهية لاننا لا نحب أن نوصف بالعجز « الخواطر عدد 18 ص 40 » .

كما يضيف فى « الخواطر عدد 36 ص 61 » بأسلوب ساخر وليد المرارة

... عندما نشعر بالخيبة العامة فى حياتنا نفوض الامر للاقـدار الالاهيـة وليس بعاجز من يعترف لله بالعجز .

ومفهوم الحداد للقضاء والقدر يختلف عن مفهوم المشعوذين السطحى بـل هو مفهوم نابع من ادراك الحداد لجوهر الاسلام فيقول :

كان القضاء والقدر فى صدر الاسلام منبعا للشجاعة واحتقار الموت فى سبيل الحياة ولكنه الآن صار رمزا للجبن والكسل والسكـون لحيـاة الـذل وخسة النفس ونحن نحب أن نقلد اسلافنا فى طريـق الموت لا فى طريـق الحياة « الخواطر عدد 6 ص 28 » .



كما يتطرق فى شعره للقضاء والقدر ، فيقول :

**تقـدمت الاقوام بالعلم واهتـدوا لمـا فيه من باس يـرد الكتائبـا**
**ونحـن باحكـام القضـاء وقهـره نريد العلا عفـوا ونـابى المتاعبـا**

... ولم يكن الحداد فى تلك الفترة وحيدا فى الحلبة .. بل كان الى جـانبه الشابى الذى شغلت باله اشكالية : القضاء والقدر فجاءت قصيـدته « ارادة الحيـاة » خير معبر عن ذلك بشاعرية مفرطة وفكر متبصر وقاد ترجم قوله تعالى : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وكاتب فى عنفوان الشباب كالحداد يتقد نشاطا وحيوية وطموحا يتطرق الى مواضيع كبرى واشكاليات فكرية دقيقة ... من البديهى أن يجد الطريق أمامه مفروشة بالاشواك فى زمن لفته الخيبة والانطواء على الـذات المتـواكلة والمتهالكة على تراث يعتبر منطقة حرام على المجتهد الباحث والدارس المتفحص.

من هنا انطلقت مأساة الحداد الذى جوبه بأبشع حملة عرفتها بلادنا ضد الفكر والاجتهاد وهى حملة أشعلت فتيلها اللجنة التنفيذية للحزب القديم وعمق لهيبها انتماء الحداد جغرافيا « للافاق » .

واستمرت الحملة لسنوات وتصدرت مقالاتها الصفحات الاولى من نشريات تلك الحقبة الزمنية ... كما نجد فى نصوص الحداد صدى الحملة التى استهدفته ، ومن أهم محاور خواطره موضع دراستنا هو محور التكفير والالحاد الذى خصص له الحداد عدة فقرات ، نذكر منها فقرتين على سبيل المثال :

الفقرة الاولى : التفكير بدء الحياة ولكنا نضع فى وجهه سلاح التكفير لنثير عليه الشعب فمن أين نبدأ الحياة التى نطلبها للشعب ؟ « خواطر عدد 57 ص 89 » .

والفقرة الثانية : ... قد بلغت حركة التكفير والتلحيد للاشخاص أن صارت سلاحا حادا فى أيدى حامليه ينتقمون به لانفسهم ممن وضعوهم موضع الاعداد ويكسبون لانفسهم المقام المعلى فى الشعب وبه أشهروا حكم الارهاب فى البلاد حتى صار الانسان يخشى أن يقول فى تونس : علموا المرأة ، أو انتقدوا عيوبكم بصراحة أو ابحثوا فى تاريخكم لتعرفوه بدل أن تقدسوه بجهلكم ... « خواطر عدد 54 ص 85 » .



كما نجد فى قصائد الحداد تلميحات لحملة التكفير والالحاد كقصيدة « الحيبة » التى يقول فيها :

**رأوا باسم دين المصطفى ان يتاجروا فخافوا على الاسلام ان يتناثرا**
**وقد اشهروا الالحاد فى كل حادث كأن الذى قالوا نما وتكاثرا**
**وإنهمو أبطال دين تألبوا على دوسه كى يودعوه المقابرا**

كذلك قصيدة « الزعماء » التى اقتطفنا بعض أبياتها من كتاب « دفاعا عن الحداد » للاستاذ أحمد الدرعى : يقول فيها :

**فى القلب موت وفى الأفواه زوبعة تثير شعبا لواه العجز فانكسرا**
**فتعلن الدين والتقوى مراوغة وتعبد المال مهما قل أو كثرا**

وتـرتمي كالشجي في حلق كل فتى يسعى الى الحق أو يبغيـه منتصـرا
تـرمي به في سواد النـاس قائلـة هذا الذى طعـن الاسـلام أو كفـرا

**خــاتمـة :**

من خلال عرضنا للخواطر والاشعار استنتجنا تداخلا دلاليـا بين الفكـر والوجدان وهذا التداخل قضى على شاعرية النص لدى الحداد وأفرز لنا حسب قراءتنا مادة فكرية جادة صادرة عن عقل متبصر يتمتع بقدرة هائلة على هضم الاحداث والوقوف منها موقف المفكر الواعي بمحيطه ،

وما قراءتنا التقابلية بين الاشعار : والخواطر الا دليل على صحة استنتاجنا وقصائد الحداد التى تغلب فيها الاسلوب التقريرى المشحون بالافكار والممزوج بالمشاعر ولدت غيابا للجانب الوجدانى أساس كل تجربة شعرية وهذا غيـر مستغرب من مصلح تمرس بالخطابة فترة انضمامه لصفوف الحزب ...

وعندما نقارن أشعار الحداد بأشعار معاصريه مثل : سعيد أبى بكر ومحمد الشاذلي خزندار وجلال الدين النقاش نلاحظ فروقا بعيدة فى تناول المواضيع، فبينما تطرق الشعراء المذكورون للاخوانيات وتسجيل الجزئيـات العـابرة والطبيعة انغمس هو فى الشعر الوطنى بقصائد ذات بناء عروضى متماسك من حيث وحدة القافية والتزام البحر الواحد فى القصيدة ، وهذا ما نجـده غالبا عند الشعراء العلماء مثل العقاد ، والمعري .

وفي قراءتنا هذه لاحظنا تطورا فى بعض القصائد التى كتبها فى فترة محنته وعزلته بعد أن خاض تجربة وجدانية قاسية استهدفته كفرد فانحدرت به من خانة العلماء : ذات الطقوس الصارمة الى العالم الشعرى الانفعالى ... وهذه القصائد هى : أملي ـ فى الدوالي ـ الغناء .

أما الخواطر فهى حصيلة تجربة وعصارة فكر ورحلة مضنية يطغى عليهـا الاسلوب الساخر الذى تولد لدى الحداد نتيجة الصدود والخيبات التى قوبل بها كمفكر مصلح .

وأسلوب الخواطر اعتمد الجزالة فى القول والوضوح فى الرؤية والدقة فى التعبير كما نجد فى الخواطر الحكمة والموعظة والموقف . والحـدث التـاريخى

والظاهرة الاجتماعية والتصور السياسي ، تنطلق الافكار فيها ذاتية ثم ترتبط بالمجتمع موضوعيا في جدلية مبنية على التحليل العلمي الذي لا نجده عند معاصري الحداد من الكتاب وهذا ناتج في نظرنا عن عاملين أساسيين :

**العامل الاول :** يتمثل في الثقافة الشخصية للحداد وهو الذي لم يكتف بالزاد المتحصل عليه من التعليم النظامي الرسمي بل عمقه بالمطالعة الغزيرة لشتى فنون المعرفة .

**والعامل الثاني :** هو عامل التجربة والاحتكاك بعالم الصحافة والتنظيمات السياسية والاجتماعية خاصة مرحلة التأسيس النقابي مع رفيقه محمد علي الذي تعلم في المانيا بلاد الفكر الهيقلي المثالي المتطور الى الجدلية المادية ...

وفي الختام : هذه القراءة هي مساهمة منا في تسليط الضوء على نتاج رجل يعد علما من أعلام الفكر في تونس ما زالت نصوصه تستحق الدرس والتمحيص لما فيها من ثراء فكري يستوجب منا : نفض الغبار عنه ليتجلى واضحا أمام الاجيال المتعطشة للمعرفة والمتناسلة يوميا في الخلايا الثقافية على امتداد وطننا العربي .

**رمضان لطيفي**

# قصائد لم تكتب ..

شعر : محمد الهادي الجزيري

① خلاصة :

أنَا المطَرُ ..
وَحُجْرَتك البدائيّة ..
بكلّ أثاثها الهرم ..

* * *

أنا الوهج الذي كانْ ..
من الكانون ينعكسُ ..
على خديك نوّارا ونوّارا فأقطفه



* * *

أنَا الذعرُ الذي كانْ
يُداهمنا اذا أنّتْ مفاصلُ بَابِكِ الشيخِ ..
ولا أحدا فنبتسمُ ..
منَ الخوف

* * *

أنا الريحُ
وصوتكِ حين يَزْجُرُني ..
ويطلبني : « برَبّكَ يا فتى يكفي ! »

* * *

أنا وَصْلُ الشتاءِ .. وخلوة الصيفِ ..
أنا الطفل الذي .. أَكْبُرْ ..
وَلا يَكْبُر !
أنا الماضي .. وَلَنْ أَحْضُرْ .!

② **الخائفة :**

أيا مَنْ تركب الحرفَا
وتتْركني بعمق الليل ناقمة على العربِ
ترى هل يغضب الرّبُّ ؟
على امرأةٍ تصيحُ بوجهِ فاتنها :
أريدُك لي أنا وحدي
فلا شعبا يُقاسمني لياليكا
ولا وطنا تغارُ عليهِ ،
لا ربّا تُنيبُ إليه ،
لا دنيا لك الليلهْ
عدا جسدي
أريدك لي كمولودٍ من العدمِ
بلا وجهٍ .. ولا لونٍ .. ولا حمّالةِ الحطبِ !
ترى هل يغضبُ المولى على امرأةٍ
تخاف عليك من دوّامة الغضبِ ؟
ومن كلّ التماسيحْ ؟
ومن أرض مراهقة تخون العاشقَ العربي ؟

**محمد الهادي الجزيري**

قراءة في لوحات البشير بن سلامة القصصية :

# الرسم بالكلمات

بقلم : د. محمد عباسه

ـ 2 ـ (*)

بتعسف شديد سأحاول الافلات من جاذبية اللوحة الاولى وشعور عميق ، واحساس مرهق يخامرني وهو أنني خرجت من مغامرة محاولة الكشف الاولى التى لم تعطني الشيء الكثير ولكن الامل يخامرني ويدفعني الى التقدم الى اللوحة الثانية علني أصل الى تحقيق ما عجزت عنه في اللوحة الاولى وهو هتك الستر ، تمزيق ذلك الغشاء الشفاف الذي يخيل اليك أنك تخترقه بسهولة ولكن سرعان ما تكتشف كثافة هذا الحجاب وأنه يغطي عنك كل شيء فتجهد نفسك وتجهد وتواصل الاجهاد علك تصل الى الكشف والهتك والفهم ولكن هيهات . رغم ذلك ، على الباحث ألا ييأس ، عليه ان يتسلح بعزيمة فولاذية لا تلين أمام الحواجز والاستار والاحجبة لا يشعر الانسان بالتعب الجسماني وهو يتأمل هذه اللوحات اذ أن فكره مشغول بالكشف وعقله متعلق بفك رموز هذه اللوحات فكثرة التعلق بالفكرة يشغل الانسان المتأمل وينسيه الاتعاب الاخرى ، ينسيه حتى ما حوله ، ففي هذا الجو تتوحد الاشياء وتتحد حواس ومشاعر الانسان

(*) انظر «الفكر» ع : 4 ـ س 31 ـ جانفي 1985 .

تجاه الرمز ، تجاه الغموض ، تجاه المجهول غيـر القابل للتفسير والتاويـل ، عنون الاستاذ البشير بن سلامة لوحته الثانية أو قصته الثانية أو قل كما قال هو لوحته القصصية الثانية بـ «**مولد الانسان**» ومنذ البداية يجد المتأمل نفسه أمام لغزين أساسيين فاللغز الاول يتمثل فى الولادة وما يعتريها من صعوبات ومـآس وآلام وآمـال فيتساءل القارىء المتأمـل عـن مصيـر هـذه الـولادة فيصطدم بذلـك المجهـول المعلـوم أو المعلوم المجهـول الـذى ينتظـر هـذه ومجهول فى كيفية صنع حياة هذا المولود أو طريقة تكييف تلك المرحلة الفاصلة الولادة أو هذا المولود فهو معلوم المصير المتجه الى الفناء والعدم والموت المحتوم ومجهول في كيفية صنع حياة هذا المولود أو طريقة تكييف تلك المرحلة الفاصلة بين الولادة والموت ، ثم تأتيه الكلمة الثانية التى تكون العنوان وهى الانسان ، ذلك الانسان الذى يشترك مع الحيوان فى صفات ويختلف عنـه فى أخـرى ، يشترك معه فى غرائزه ويختلف معه بعقله وفكره وقدرته على الخلق والابداع . فهذان الرمزان اللذان يعترضان الفاحص المتأمل والقارىء المتثبت منـذ الوهلة الاولى ويضعانه فى دوامة الوجود والعدم ، فى دوامة الحياة والموت ، فى دوامة الولادة والفناء ، فى اشكالية البداية والنهاية وبالتالى ما هى البدايـة وما هى النهاية وهل يجوز لنا عكس المفهوميـن فتكون البدايـة نهاية وتكـون النهاية بدايـة . فى خضم هـذه التساؤلات وفى بحـر هـذه التاملات وضمـن هـذه التناقضات والاشكاليات الفكرية التى يطرحها الاستاذ البشير بن سلامة فى هذه الرسوم بالكلمات ، « فنحن نلج القصة ولكن كاننا نسلك دربـا فى غابة وسرعان ما تنقسم القصة وتغور فى نبت الحراج الكثيف وتصل الى بقعة فى الغابة الجرداء . وتلى اضاءة المغامرة اضاءة الحلم والسحر دون أن تصبح النزوة مجانية وتتخذ معنى محددا يستنفذها . حلم حقيقى جدا ومغامرة لا تنى تتجدد وبحث عن دلالة قد تستشـف فى بعض الاحيان ثـم تفقد ويعثـر عليها مـن جديد .. » (12) .

هذه الولادة وهذا الانسا ناللذان يحملان فى طياتهما مأساة الانسان الابدية والتى حاول على مر العصور ومنذ فجر التاريخ أن يجد لها حلولا ولكنها ظلت رغم تطورها مع تطور الانسان عاجزة عن اقناعه أو عن ايجاد حل مرض لازمته الابدية فكانت نظرته السوداوية الى الوجود وقناعته الماسوية فى الحياة ، ورهبته

---

(12) ر. ماريل البيريس ـ تاريخ الروايـة الحديثة ترجمة جـورج سالـم ، منشورات عويدات باريس ـ بيروت 1982 ـ ط 2 ص 411 .

وخوفه من المصير المظلم الذى ينتظره ، وهروبه من العدم والفناء توقا الى الخلود والخلق ، بحثا عن الحل الذى يرضى عقله وتفكيره ، فكانت الولادة وكان الاشكال وكانت المأساة وكانت الصرخة الاولى التى يطلقها الانسان خوفا من هذا الوجود وخوفا من الدنيا : « مزق البرق غشاء السحب فى عنف لازوردى ، وأشعل من السماء ثقوبا لزجة غمرت بسيولها الشارع ، وقيدت فى تحد أصفر مزلزل كل انطلاق نحو تخطى المنازل ..» (13) . ولد الانسان وولد معه العجز ، ولد الانسان فى عملية عنيفة عنف ما تحمله كلمة «مزق» من محاولة التخطى والفرار والخروج والتمرد ، والانعتاق ولكن هل يصل الانسان الى الانعتاق فى هذه الحياة الدنيا رغم مالديه من امكانات . هذه الامكانات التى لا تساوى شيئا أمام قوانين الطبيعة وقوانين العدم والفناء ، أمام قهر الطبيعة للانسان والحياة وعربدة القضاء والقدر أمام مصير الانسان المحتوم ، مصير الانسان الى الموت والفناء ولكن رغم هذا المصير الاسود الذى يتربص بالانسان شرا ودون أن يتركه يقر له قرار أو دون أن يتركه لحظة يتمتع بوجوده بحياته فهو دائم الحضور ، دائم التهديد ، دائم الانتقام دائم السادية ولكن رغم هذا « لبست الطفولة برقع الدهشة والفضول » (14) الدهشة من المصير وفضول عن هذا المصير ، مصير الانسان الذى ولد بالقوة ولم يجد افلاتا من هذه القوة ، ولد كرها دون أن تكون له حرية الاختيار ، قبل غصبا ولادته دون أن تترك له حريةالرفض أو القبول فكما قال أبو العلاء: هذا ما جناه أبى علي وما جنيت على أحد . فظلت هذه النفس الانسانية وظلت عملية الولادة تنخز فكر الانسان وعقله منذ أصبح مالكا لهذه القدرة وهى قدرة التفكير وقدرة اعمال العقل وظل الانسان مدفوعا الى التمرد دفعا ، وظل الانسان تواقا الى الرفض كتعويض عن عملية الغصب والاكراه التى تعرض لها فى ولادته وقبل ولادته وفى خلقه أيضا فلذلك « اعجبها من الدنيا وشاح الزعازع وبشائر الدمار » (15) ولكن هذه الانتفاضة وهذا التمرد سرعان ما يرهقان الانسان الضعيف بطبعه فيستكين ولا يستكين ، فيستقر ولا استقرار ، فيلين ولا ليونة فيتعب ويرتمى على الارض ملطخا بالوحل والتراب ولكنه يظل ينبش وينبش ولا ييأس وينتفض من جديد علّه يجد فتحة يخرج منها من الظلمات الى النور ، علّه يجد آلة يكسر بها قيده الذى كبل يديه وأدماهما ، علّه يسترق لحظة من لحظات الغفلة التى ينهمك



---

(13) البشير بن سلامة لوحات قصصية ص 11 .

(14) البشير بن سلامة لوحات قصصية ص 11 .

(15) البشير بن سلامة لوحات قصصية ص 11 .

فيها سجانه من حين لآخر بعد أن « أنست الجدة بوحل الفناء يغمر الوجود وقد ترهل زمانها وخاط لها ثوب انتظار وأفاض عليها أملا قاتما وتوق نجاة . وانطلق لسانها من مغابن اليأس الى مسامع الأمل والرجاء يقص ملحمة آدم في الجنة . . » (16) هذه المغامرة الخلاقة القاسية بما فيها من شروط نفسية وعقلية وجسدية عبر عنها الاستاذ البشير بن سلامة التعبير الحر عن الصورة الشاعرية البانورامية التي تعكس في ثنايا مكوناتها عناصر جوهرية عن حقيقتي الحياة والموت ومستويات الرؤية العقلية المفكرة وشفافية الرؤية الحالمة التائهة في بحار الشك وعذابات الوجود الانساني يطرح الاستاذ البشير بن سلامة في هذه اللوحة القصة أو هذه القصة اللوحة قضية وجود الانسان ونزوله على هذه الارض ومع النزول تبدأ التساؤلات ويبدأ البحث ويبدأ الشك القاتل : قضايا وترت أعصاب الانسان منذ أصبح انسانا ، قضايا شغلت بال وفكر الانسان الى درجة الهلوسة ، باختصار قضية الانسان الضعيف القوى ، قضية الانسان المتردد الباحث المعذب ، قضية الانسان التواق الى التحرر والانعتاق . طرح الاستاذ البشير بن سلامة هذه القضايا بنظرة وجودية «لعب التصوف دور الغطاء الفكرى والردود على تلك المشكلات الوجودية والمعرفية والقيمية المرتبطة بالانسان أينما كان والانسان العربى بالخصوص ذلك الانسان الباحث عن ذاته ووجوده وقيمه تلك القيم المرتبطة بتراثه ومستقبله . لقد كانت اجابات عن أسئلة ماورائية وعن ألغاز الوجود وغوامض القدر والمصير ، مصير الانسان المتردد الحائر دائما ، المتشكك باستمرار ، والذى حاول على مر تاريخه الطويل ايجاد بعض التهويمات أو بعض الحلول التعويضية التى يفترض أنها أخف الضررين فبدأ بعملية التناسل اذ أنه عن طريق النسل يضمن نوعا من الاستمرارية ويعتقد فى نوع من الخلود ، ثم فى عملية الخلق الفكرى والابداع الفنى الذى هو بدوره نوع من التناسل المعنوى الذى لا يختلف اختلافا جذريا عن التناسل المادى « وانطلق لسانها من مغابن اليأس الى مسامع الأمل والرجاء يقص ملحمة آدم فى الجنة » (17) .

فهذا الامل وهذا الرجاء وهذه الملحمة فى الجنة تنبىء بنتائج الاوهام التى تصورتها الانسانية عملية تعويض عن الياس والشك والجحيم التى قتلت فى الانسان حبه للحياة وسيطرة النزعة العدمية عليه وهنا تبرز مهمة الفن التى ينبغى عليها أن تهرب بالانسان من واقعه المر وتعاسته اليومية الى عالم أرحب ،

(16) نفس المصدر ص 11 .
(17) نفس المصدر ص 11 .

عالم الفن عالم الحق والخير والجمال وهذا ما أراده الاستاذ البشير بن سلامة من تركيز على هذا الجانب المشرق وهذه الزاوية المضيئة من حياة الانسان التى وان كانت لا تستقر على حال لكن ابراز هذا الجانب يكفى الانسان ايمانا بالمستقبل مستقبل الانسان والانسانية . ضمن عالم الخيال الواسع الرحب ، عالم الحق والخير والجمال ، العالم الذى يتصل فيه الانسان بمخلوقات غير المخلوقات البشرية ، مخلوقات كلها تقدير ورأفة وحنين على الانسان ذلك المخلوق الضعيف القوى أو القوى الضعيف . لقد أتى الاستاذ البشير بن سلامة هذا العالم ، عالم الملائكة عالم الخير والخلود ، عالم الخلق والابداع وأدار لنا حوارا رائعا بين الملائكة تناقش قضية الانسان ، قضية خلق الانسان وضعفه ، الانسان وطموحه وتصوراته عن العالم ، عن القوة ، عن الخير ، عن الجمال ، عن الخُلق ، عن الخلود .

فيتحدث الملاك الاول عن ضعف الانسان وعجزه ، ومحدودية قدرته على التصور تصور العالم والطبيعة والاشياء « حين ألقى الينا آدم نعلمه مع هذه المخلوقات لم يكن فى عينيه الا لمع تراب وفى سحنته لون الى الطين أضيع نسبا والى قدرته حقيق بالعطف والرحمة » (18) . هذه الارض الطين التى خلق منها الانسان واليها يعود هى التى جعلته كبقية الحيوانات من بهائم وأنعام، جعلته عاجزا مثلها قاصرا مثلها ، بل حتى لا يصل الى مستواها فى بعض الصفات كالقوة والضخامة « اين هو من قوة الاسد وضراوة النمر وضخامة الفيل » (19) هكذا أكد الملاك الثانى ضعف الانسان وحقارته حتى أمام المخلوقات التى تعيش على الارض ، المخلوقات سواء من حيث الصفات المادية ( ضخامة ، قوة ) أو المعنوية ( شجاعة ضراوة ) ، يعنى بالنهاية ان الانسان أكثر عجزا حتى من الحيوانات او بالاحرى بعض الحيوانات بل هو « ما أقربه من الزاحفات والعاطلات والناعسات » (20) . هل هناك حالة يصور الانسان فيها أتعس وأمر واحط من هذه الحالة التى وضعه فيها الملاك الاول ، ذلك الملاك الذى اعتبر الانسان من أسوا المخلوقات على وجه الارض وصوره فى أبشع صور العجز والخنوع والكساحة فهو دائم الالتصاق بالارض زاحف عليها عاجز عن القيام بأى شيء يخالف ويغير وضعه ، عاجز عن الابتعاد وعن الجاذبية الترابية فهو

---

(18) البشير بن سلامة ، نفس المصدر ص 11 .
(19) البشير بن سلامة ، نفس المصدر ص 11 .
(20) البشير بن سلاملة ، نفس المصدر ص 13 .

دائم الالتصاق بها ودائم الاحتكاك بها ، غير قادر على تحقيق اقلاعه من عليها ، يزحف على الارض بنجاستها وشوكها وقتادها ، بأحجارها ورمالها ، بمياهها وأوحالها ، في صقيعها وهجيرها ، في صيفها وشتائها : الانسان العجز . ولكن السر الرهيب الذي وضعته الطبيعة في الانسان وميزته به عن الحيوان هي تلك القدرة الفائقة والسرعة المذهلة التي تمكنه من الانفصال ــ روحيا وفكريا ــ عن الارض ودنسها والارتفاع الى العالم العلوي عالم النور والملائكة عالم المثل والروح :

« واليوم تطلقت به الاسارير وتألق في عينيه بريق أنفذ من شعاع الشمس وأحد من وقع حرف من حروف الله » (21) . هنا تتجلى قدرة الانسان في ابتعاده عن صفته الحيوانية متى أراد هو ذلك إذ أنه ليس محكوما عليه أبديا البقاء في وضعه الحيواني وانما هو يملك القدرة للانفصال عنه متى أراد والصعود الى عالم الملائكة وهذه صفة الانسان وحده ، ينفرد بها من دون المخلوقات الاخرى فالملائكة لا تستطيع أن تنزل الارض وتهبط الاوحال والحيوانات غير قادرة على مغادرة أرضها وترابها وظل الانسان متأرجحا بين العالمين وهنا كمنت مأساته الابدية وكمنت عذاباته الازلية في أنه لا يستطيع القرار والاستقرار فالانسان بقدرته على الانتقال بين العالمين أدخل ارباكات على نظام التسيير في العالمين : أحدث خللا في العالم الارضي مع الحيوانات التي يشترك وإياها في عدة صفات وأحدث ارباكات أيضا في العالم العلوي عالم الملائكة الذي لم يتركه صافيا بل أدخل فيه الشياطين فابعده عن طهارته الاولى ونظامه السابق ، واضطر الملائكة لأن تسجد له احتراما وتقديسا نظرا لما يحمله في طياته وفكره وعقله من النفحات الالاهية . وزيادة عما يمتاز به من قدرة التغير قدرة الخلق والابداع صفات يشترك فيها مع خالقه الذي يحس تجاه آدم بشعور خاص يميزه عن كافة مخلوقاته الاخرى سواء السماوية منها او الارضية ، فالارضية راضية عن وضعها كذلك السماوية « لن تكون في غباوة آدم وغفلته • ولن نفتح للاسرار الالاهية قلوبنا الا بجزاء نحن كما نحن قبلا وبعد . ومنزلتنا من ربنا لم يحسنها علم ولا معرفة ، ولم يغير من نفوسنا وحياتنا تهجد بالليل ولا عمل بالنهار » (22) . قدرة آدم تتجلى في التغير من حالة الى حاله وبكامل وعيه وادراكه بينما عجزت المخلوقات الاخرى على هذه العملية ، عملية التغير والتطور بالارتقاء حينا وبالانحدار أخرى الارتقاء الى مصاف الالهة والاتحاد بالله اتحادا كليا بواسطة « لذة المعرفة الالهية

---

(21) البشير بن سلامة ، المصدر السابق ص 12 .

(22) البشير بن سلامة ، المصدر السابق ص 12 .

غنم يفتح اقفال القلوب » (23) عن طريق « حرف وهاج من حروف اللوح المحفوظ يزجي كل شهر لمن نفذ فى قلبه النور الالهى وأحاله شفافا كلمعة البرق فى ظلمة الاديم » (24) . فعملية الارتقاء أو عملية الاتحاد والكشف هـذه لا تتم الا عبر المعرفة الحسية التى وهبت لآدم ومن بعده لبنيه الذين يملكون القدرة على تحمل مشاق السفر فى رحلة الكشف : كشف النور الالهى ، فكاننا نستمع الى كبار المتصوفين امثال الحلاج والجنيد وابن عربى وخاصة الغزالى ذلـك الذى هام طويلا باحثا عن الله فبعث الله فى قلبه شرارة من نور فآمن واستقـر وكـان له القرار الغزالى آمن واستقر رأيه وقر قراره فاستعاد سكينتهوراحتهالنفسيةلكن الاستاذ البشير بن سلامة لا يجد راحته على الرغم من أنـك تحس أحيانـا أن المؤلف عثر على ضالته ووجد السكينة الـتى ينشدها والراحة النفسيـة التى يطلبها لكن سرعان ما ينتبه بعد غفوة قصيرة ، ينتبه الى مأساته بأشد عنفا وأكثر حدة « وتقاطرت الحروف الوهاجة على آدم مطلع كل شهر وأشاعـت فى نفسه لذة لم يدرأهى القرار يشده الى وجوده ، أم هى غيبوبة الزوال ، ينخرها سوس الفناء ؟ لذة تعمق الى الحشا وتنزل الى دفين كيانه ، وتزلزله شوقـا ولهفة ، أين منها لذة الامس تفتح القلب وتشيع منه سحر الراحة المعطاء والنور المتالق » (25) . هكذا الانسان ، الانسان المتقلـب فى عذاب الجحيـم لا يعرف الهدوء والسكينة ما دام حيا ، الانسان الذى يؤمن ايمان العجائز لكن سرعان ما يعود فيهدم كل الذى بناه فيبقى معلقا بين السماء والارض بين الكفر والايمان بين القوة والضعف بين السكينة والحركة بين الراحة والعذاب وهذا لعمرى من صفات الفنان المبدع «لآدم النجاح ولا حرف ، وله التفوق ولا فوز» (26) . هكذا حكم على بنى الانسان بالتوق الى المطلـق ، لكن الروابط الارضيـة قوية حكم على بنى الانسان بالرفض ، لكن الحواجز المعيقات اكبر ، حكم عليه بالتأله لكن الحيوانية التى خلق منها شديدة التأثير فتبعته لعنة آدم الى أبد الآبدين لا هو يخرج منها ولا هى تبتعد عنه . هذه الحيرة الابدية التى لا تعرف للسكينة طريقا ولا تعرف للراحة طعما هى من شيم النفوس الكبيرة والعقول الحساسة والقلوب الحائرة وهىسمة بالنهاية منسمات المتصوفة الباحثين فى سر الوجود وفي سر الانسان، سر الحياة والموت والفناء والعدم لا حيث الانسان مدعو سرا الى

---

(23) البشير بن سلامة نفس المصدر ص 12 .

(24) البشير بن سلامة نفس المصدر ص 12 .

(25) البشير بن سلامة نفس المصدر ص 12 .

(26) البشير بن سلامة نفس المصدر .

البحث عن حياته فى مجموعة من الاشارات والالتقاءات ذات القيمة الرمـزية والصوفية ..» (27) عله بذلك يجد حلا لمأساته التى كبلت فكره وعقله وأدمت قلبه فرجع الى بدايته يلوذ بها مخفقا : «بحيث أن فى الكرامات الصوفية ـ كما افترضنا ـ نوعا من العودة الى بدء الاشياء أى الى الانماط الاساسيـة وينابيع الافكار الاولى فانها مكثفة ومكتنزة بالاشارات والمصطلحات وخاصة الرموز التى تستند الى الجذور المنغرسة فى اللاوعى للفرد أو للجماعة..» (28).فلا غرابة فى التصاق الاستاذ البشير بن سلامة بالرموز،والاشارات البدائية المنغرسة فى وعى ولا وعى الانسان فهو يتحدثعن مولد الانسان،مولد الانسان الاولومولدالانسان المعاصر هكذا قدره ، عليه أن يكون ذلك الكائن المتذبذب بيـن طبقات السماء وطبقات الارض ، بين الحيوان والملائكة الذين جعلهم الاستاذ البشير بن سلامة يتحاورون مع بعضهم البعض فيجو انسانى رائع الايحاءات ملىء بالرموز «يبدو أن الطير خاصة ، والحيوان عمومـا ، مـن الشخصيات الاساسيـة فى الكرامـة الصوفية التى تظهر عادة لمساعدة الصوفى من جهة أو لتجسيد مراميه من جهة أخرى ، أو لتمثيل رغباته المسقطة من جهة أخيرة ، ان كرامة البسطامى مثلا اذ يكلم الجمال او رابعة التى تأتيها الطيور لسماع صوتها ، عملية اسقاط رغبة بشرية أى ان الكلام هنا مع الحيوان رغبة بشرية يتمنى الانسان أن تشبع ثم ان الكرامات الكثيرة التى تقترب من الكليدمنات (نسبة الى كليلة ودمنة) شكلا أو غاية أخلاقية ووعظية تعطى الحيوان روحا ثم وعيا وتفترض كون سلوكه غائيا يرنو لتحقيق هدف وتجعل ذلك الكائن شبيها بالانسان ، وتلك هى النزعات التشبيهية والايحائية أو الروحية والغائية .. » (29) . الانسان الصوفى أراد أن يؤنسن الطبيعة بحيواناتها وجمادها والاستاذ البشير بن سلامة أراد أن يؤنسن معها أيضا عالم ما فوق الطبيعة أى عالم الروح والملائكة ، فجمع بين عالم الطبيعة وعالم ما فوق الطبيعة وجعلهما يتحاوران مع الانسان هـذا الانسان المشدود بعنف الى العالمين فى نفس الوقت كل ما حاول التخلص من واحد لفائدة الآخر إلا ووجد نفسه مشدودا بعنف الى عالمه الأول فحاول أن يرقى بالاول قليلا وينزل بالثانى قليلا ليلتحما مع الانسان ويتصدى مع نظرته الى الوجود ، الى

---

(27) نن ، أنييس ، رواية المستقبل ، ترجمة محمد منقذ الهاشمى ، وزارة الثقافة دمشق 1983 ص 413 .

(28) زيعور على ، الكرامة الصوفية دار الطليعة ، بيروت 1977 ط 1 ص 37 ـ 38 .

(29) زيعور على ، الكرامة الصوفية ، دار الطليعة بيروت 1977 ط 1 ص 26 .

الوضع الانساني وسط جو مليء بالرموز يعبق بالاساطير مثقـل بالايحـاءات « تظهر كثرة الكرامات قدرة على التصور وغوصا عميقا في الوجدانيات وجنوحا في الخيال البشرى المحلق في عوالم سحرية كما أنها تبرز ميلا في الانسان لأن يصبح إلها أي مالكا لنفسه ومصيره ، خالقا لقدره ورافعا لوضعـه البشـرى المأساوى ، فالتشديد على امكانية الانسان في الارتفاع حتى مستوى المطلق هو أوضح السمات الايجابية في التصوف .. » (30) هنا يختلط الفكر الاسطورى بالشعر والموسيقى والرسم فينتج شيء غامض غموض الحياةالانسانيةوالنفسية الانسانية ، غموض هذا الوجود الذى لم يختره الانسان ووجد نفسه فيه مرغما مكبلا مغلولا « فيظهر العطاء الفني الصوفي ايمانا بالكشـف والالهـام وبطاقة الانسان على استكشاف المجهول في الذات وعلى تخطى قيـود الفقهاء ورسـوم القوانين ومشاعية اللفظة وعلى الفرار مـن العمومية والشكليـة والقواعديـة والمجانية .. » (31) هذه النزعة التحررية ، أو نزعة محاولة الافلات من الواقع والمألوف الى دنيا الخيال والرمز ، دنيا الاشارات والايحاءات حيث يكاد القارىء المتأمل يحس أنه في عالم صوفى « الحلم دنياه » فيعبر بلغة الحلم الـتى تكون مكثفة ، رمزية مقنعة ، وكما أن الحلم لا يخضع للمنطق والمألوف ، ويقفز فوق القيود والسائد والاكراهات المجتمعية ، فكذلك عطاء الصوفى يكون قريبا من عطاء الحلم .. » (32) .



كما أن الصوفي هو فنان كلمة ، وفنان يعبر بطرائق غير شائعـة ، طرائق مليئة بالرموز والمتاهات ، فكل كلمة يستعملها الصوفى هى عبارة عـن متاهة وكل عبارة يستعملها الصوفى هى لغز ، كذلك فعل المؤلف في هـذه اللوحـة القصة ، فالنص عبارة عن غابة كثيفة مـن الرمـوز والاشارات ، مـن الالغـام والمتفجرات تمنعك من التنقل الا بعد جهد جهيد وحتى اذا تنقلت وخلصت من حاجز سرعان ما تجد غيره ، تجد نفس الحاجز أو أكثر منه تعقيدا اذ تتشابك المعاني تشابك أغصان الاحراش الشوكية وتتقاطع الدلالات تقـاطع شبكـة المتفجرات المحكمة التخطيط لتمنعك من الكشف والوصول وتحجب عنك سدرة المنتهى . لابد من المكابدة والمعاناة إذا أردت أن تظفر بالقليل ، من الاشارات . فتصبح مجبرا على أن تتصوف حتى تستطيع تحمل هذه المكابدةعلى أمل الوصول

(30) زيعور على ، الكرامة الصوفية ، دار الطليعة بيروت 1977 ط 1 ص 38 .
(31) زيعور على الكرامة الصوفية ، دار الطليعة بيروت 1977 ص 44 .
(32) زيعور على ، الكرامة الصوفية دار الطليعة بيروت 1977 ص 44 .

الى الغاية، الى المطلق وحتى تستطيع الظفر بشىء من التجلي، تجلي هذه التجربة الوجودية الصوفية عند المؤلف التى هى فى نهاية الامر تجربة الانسان الباحث المتسائل، عن المطلق، عن اللامحدود، عن الحق والخير والجمال ولكن دون أن ينسى جثومه على الارض وما يشتم منها من رائحة الجثث من عهد عاد ومن قبله فهذه الرؤية المأسوية للوجود، هذا الوجود الهش المهدد دوما بالفناء والعدم بالموت والتلاشى وذلك الانسان الباحث دوما عن حلول لكن سرعان ما يكتشف أن هذه الحلول هى حلول مؤقتة تستجيب لرغبته النفسيـة فى الوصـول الى الخلاص، الخلاص النهائي والراحة الفكرية : « .. وما أن أقلعوا حـتى دفعت اليهم بذرة الخلق غضبى فانبتوها قسرا فى رأس آدم، فعاوده مزيج مـن لذة الامس ولذة اليوم ودمعت عينه دمعة، بريقها كقبسة من نور الاهي لم يخالطه مواد .. » (33). عن طريق الخلـق حاول الانسان أن يثبـت قوته حاول أن يثبت خلوده واستمراريته فتألم لأن عملية الخلق لا تتم بسهولـة ففى الخلق معاناة كبيرة وألم كبير، فالخلق عسر، الخلق عملية عسيرة ترهـق وتدمى الانسان وتبكيه والبكاء ما هو الا تعبير حسى عن الالم والمعاناة والمكابدة، ورغم كل هذا الالم وكل هذه المكابدة فى الخلق هل ينجح الانسان فى اثبات قدرته وقوته ووصوله الى تحقيق الخلود « وتألب عليه القوم وغسلوه بالتراب والطين فلم يزد الا توهجا وانعتاقا، فشكوه الى ربهم فقدر وأمر، أمر أن تستـل منه بالالم والحسرة بذرة الخلق وتخلط بماء الفناء وزيت الزوال، وتزرع فى قلب آدم، وليس لها من جذور فيه وفى عقله الا « اللهو » (34).

لقد جاءت النتيجة اللطمة، النتيجة المحتومة، النتيجة الحقيقة المأساة التى حاول الانسان التغلب عليها ولكن دون جدوى فلا بديل عن « اللهو » مع هذا المصير المظلم وشر البلية ما يضحك فاللهو أبلغ تعبير عن عجز الانسان أمام مأساته الابدية مأساة الوجود المعقد والحياة المهددة بالفناء فلا أفضل من اللهو اللهو الحزين، اللهو المأساوي، اللهو الساخر الذى عبر عنه أحد الشعراء أصدق تعبير وأبلغه أو اللهو الزوربوى ( نسبة الى زوربا اليونانى )

**فـــلا تحسبـن رقصـى فـــرحا فالطير يرقص مذبوحا مـن الالم**

فبعد هذه الاجهاد، اجهاد البحث المتواصل الذى لم يعرف السكينة وبعد أن وصل الانسان الى قناعة أن الوجود لهو، أن الوجود مأساة لاهيـة وجب عـلى

---

(33) البشير بن سلامة، لوحات قصصية الدار العربية للكتاب ص 15.
(34) البشير بن سلامة، لوحات قصصية الدار العربية للكتاب ص 15.

الانسان أن يتعلم النسيان أن يتعلم الهروب ، الهروب من الاسر ، أسر الحياة والموت والفناء والعدم فعثر على الخمر : « وفى الفجر دله الملائكة رحمة به ، على الخمر . ثم كان مولد الانسان على الارض » (35) .

لقد سجل لنا الكاتب مغامرة الانسان الوجودية بحروف شفافة داخل الوجود المعيش على المستوى الواقعى : إنه لغز قدرنا الصوفى ، فالحياة فى هذه اللوحة القصصية تتلون بالخرافة وتصبح لغزا وخط سير فوق مخطط صميمى ورمزى دون أن تهرب أو تتبدد كليا فى عالم الوهم ، وهى مع ذلك عنيفة بالحساسية والشهوانية الصوفية التى هدفها الكشف عن عالم يظل أبدا فى حاجة الى الكشف مهما طالت عملية البحث لانها تعبر بصدق عن قلق الانسان فى هذا الوجود .

أراد الاستاذ البشير بن سلامة أن يجعل من السرد سحرا أى فنا ـ وتبقى من أهم وظائف الفن انقاذ الانسان من الآلية ـ وعمل الشعر والتصوير على انجاح هذا التحول ، لأن هذه اللوحات استعارت من الشعر عالمه : عالم الاحساسات خاصة مع ظهور الرمزية تلك الرمزية التى فتحت للشعر أفاقا جديدة وأبعادا مغايرة أين تعطى الانفعالات دلالتها كاملة وتحول الانفعال الى حقيقة كونية حيث يصبح المصير الانسانى والحياة والموت والكون رموزا ملتهبة عذبة متوثبة فى رؤى الانسان وخيالاته ضمن هذا « المزج الكيميائى للغة » : « لأن أداة الكاتب التعبيرية تتعدى المخزون اللغوى لذا كان من الحتمى أن تخضع اللغة لمحاولات متفاوتة العنف ، تشتق وتولد وتخترع وتنقل وتترجم وتنحت وتصطلح بغية تلبية الحاجات الانسانية المستجدة يوما بعد يوم ، وغدا لزوما على الاديب ان يستفيد من الاصول الفلسفية والبحوث الانتروجولوجية والمنجزات العلمية والحقائق الرياضية فيظهر فكره فى أغنى تعبير لأعمق دلالة .. » (36) هذا عين ما فعله المؤلف فى هذه اللوحات القصصية التى أبرزت لنا العديد من العبارات الشعرية الرائعة والجمل « التشكيلية » المعبرة عما يخالج النفس من عواطف واحساسات وشعور لذا تطلبت وتتطلب من كل معمل فيها الرأى جهدا كبيرا حتى يستطيع الوصول الى اقامة نوع من العلاقات بين الالفاظ والجمل

---

(35) نفس المصدر ص 15 .

(36) شرف ، محمد ياسر ، النثيرة أو القصيدة المضادة ، النادى الادبى الرياض 1981 ص 81 .

الـتى تبدو فى الوهلة مستحيلة كما فعـل أبو تمام من قبـل « فشعر الطـائى يستحوذ على صعوبات كثيرة لأنه يمتلىء بكثير من الاسرار الغامضة التى تجعل الانسان يخرج عن نطاق المالوف ويسير مع الشاعر كما يريد فى عالمه الحالم المتلىء الطريف ، حيث يلعب الالتواء والعمق والخفاء والثقافة والفكر الفلسفى أدوارا تعبيرية هامة ، إذ يبحث الشاعر ويجرب ويكتشف ويبدع ويطور ويبتكر أفكارا وصورا جديدة ، فى وقت لم تكن قد تمت فيه رياضة اللغة على ذلك فى تلك المرحلة من الانتاج الادنى فتستكين له طائعة تـارة وتتأبى جافيـة تـارة أخـرى » (37) .

هكذا كان عالم اللغة الذى غاص فيه المؤلف ذلك العالم الذى دخله مغامرا ، متمكنا فخرج منه بسلام بعد أن بين بوضوح قدرات هذه اللغة عـلى التصوير والنحت والنقش وما تحمله الفاظها مـن موسيقى معبرة استطاع المؤلـف أن يروضها وأن يستغلها استغلال العالم المتمكن مـن علمه والفنان المتشبع بفنه وبهذه العبارة ننهى الوقوف أمام هذه اللوحة الثانية .

( يتبـع )

د. محمـد عبـازه



(37) نفس المصـدر ص 148 .

# نقش متأخّر على عَرش بلقيس

شعر: محمد القديدي

غـــازلْ بعينيـك السمـــاء    وغُــص بعيـدا في الرمــال
يـا عـرشَها المتألقَ ، المغـروز    فـي كبـدِ المحـــال

* * *

أنـا عنـد جـذعك نبضـة    شردت كَسَـافيـةِ الرّيـاحِ
أرنـو .. وأُشـربُ طيفَهـا    الأزليَّ أكـوابَ الجـراح

* * *

بلقيـس يـا عينيـن ســوْ    داويْـنِ تختـرقان حلمـي
أحــلى وأنبـل من كـروم    الشمس أعصرهـا بوهمـي

* * *

يـا بنتَ مهـد الخالـديـن    يؤرقـون الدهـرَ صمتـا
تنهـار أعمـدة الـزمـان    ويُنطقـون الأرض موتـى

* * *

يا أجملَ الملكات تَخْـ    ضرّ الصّحاري في يديها
ويذوب قلبُ الليل شعـ    را ، وهو يلتثم راحتيها

* * *

وتشعُ حتّى يستظلّ بوجـ    ـهها العربيُّ تاجُ
وعلى ضفائر مجدها    متشامخا يعلو سياج

* * *

أنا عند أعمدة الجما    ل عناد أغنية – نبوءه
جاءت تلملم من شظا    يا الشمس نافذة مضيئه

* * *

يا وردةَ الصحراء يَبْـ    ـبَس كلُّ شيءٍ في دمانا
هاتي سنا عينيك – يـ    ـا أمّاهُ – واخترقي دجانا

* * *

أنا عند عرشك آهة    تعبت وما برحت تقولْ :
– هيهات يا وطنَ الضياء    البكرَ يمحقك الأفولْ!

* * *

غازل بعينيك السماءَ    وشك رمحك في الرمالْ
يا طيفَها المتالقّ الآتي    على فرس المحالْ

محمد القديدى

مطالعات

# مدخل الى نظرية القصة

تأليف : سمير المرزوقي
وجميل شاكر
تقديم : محسن بن حميده



فى سلسلة « علامات » افتتحت الدار التونسية للنشر فرع « المناهج » بكتاب « مدخل الى نظرية القصة » من تأليف الاستاذين سمير المرزوقي وجميل شاكر وهما استاذان شابان بكلية الاداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية

فاعتمادا على المراجع الضرورية للباحث فى ميدان القصة والتى محورها الاهتمام بفن القصة والتنظير العلماني لقواعده وتظاهراته حاول الكاتبان بيان أهم الاكتشافات الحاصلة عن مختلف التجارب الحديثة وتأليف طريقة تجنب القارىء والدارس تشتيت الجهود وضياع الوقت وتزوده بفكرة كاملة ومجملة فى الموضوع .

والكتاب ذو قسمين نظرى وتطبيقى

فالقسم النظرى يتناول التحليل الوظائفى للقصة الـذى يعتمد فى الكتاب بالخصوص على منهجية فلاديمير بروب فى الحكاية الشعبية للبنية الزمانية فالبنية المكانية والقيمة العلمية للمنهج ثم تحليل النص القصصى اعتمادا عـلى الترتيب الزمنى والتواتر والديمومة والسرد القصصى ووظائف السارد وأخيرا القصصية والعلاميـة .

أما القسم التطبيقى فيتناول التحليل الوظائفى للحكاية الفرنسية « اللحيـة الزرقـاء » وللحكاية التونسية الشعبية « سبـع صبايا فى قصبايـا » وأمثلة تطبيقية مستمدة من أقاصيص « بيت سيء السمعة » لنجيب محفوظ ومن رواية « برق الليل » للبشير خريف ثم محاولة لتطبيق التحليل الوظائفى والدلالى على مسرحية « السـد » لمحمود المسعدى .

ويختم الكتاب بقائمة مراجع وثبت للمصطلحات فرنسى عربى .

ويزيد هذا البحث الجاد قيمة أهمية البعد القصصى فى الكيـان الانسانى وتاريخ الشعوب وعقائدهم والدليل القاطع فيما نجده من قصص فى القـرآن وبقية الاديان الاخرى .

**محســن بن حميـدة**

# قراءات سريعة

● « تغيير العالم »

صدر فى سلسلة « عالم المعرفة » عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب بالكويت كتاب « تغيير العالم » للدكتور أنور عبد الملك وهى دراسة متجهة الى المحاور العامة لعملية تغيير العالم بغية تقديم صورة شاملة لذلك التغيير من خلال التغييرات الحادثة فعلا من تطور القوى من الجيوسياسة والاقليمية الى الدين وصراع الحضارات قد تعين على التحرك العربى صوب نظام عالمى جديد وعلى تصور مساره السياسى والحضارى فى اتجاه التواكب مع القوى التقدمية فى عالمنا المعاصر .

والكتاب له ثلاثة أبواب هامة الاول فى عالمية العالم ورؤى تغييره والثانى فى قنوات التغيير والثالث فى التحديات والرؤى مع قائمة مراجع بالعربية والانقليزية .

● « الدراما التجريبية فى مصر »

صدر عن دار الاداب ببيروت كتاب للدكتور حياة جاسم محمد بتاريخ افريل 1983 تحت عنوان « الدراما التجريبية فى مصر 1960 ـ 1970 والتأثير الغربى عليها » .

وفى توطئة لموضوعها تتناول الكاتبة خلفيته بالمعلومات عن الدراما المصرية فى الاربعينات والخمسينات مع استعراض الاتجاهات الدرامية فى تلك الفترة عند الكتاب البارزين فى مسرحياتهم ثم يتعرض الموضوع الى التأثير الغربى فى حركة الترجمة والنقد الادبى ثم فى مسرح الجيب والمسرح العالمى وعروض الفرق الاوربية فى مصر والمسرحيات الغربية والدراسات الغربية المترجمة الى

العربية فى مصر مدة عشرين سنة ( 1950 - 1975 ) فأكثر فيبدو من ذلك عمق التأثير الغربي فى الستينات وخاصة السبعينات .

والجزء الاكبر من بحث الدكتورة حياة جاسم فى دراسة الاشكال التجريبية فى التراجيكوميدية والدراما الملحمية ودراما العبث واللامعقول والمسرح داخل المسرح والمسرح التسجيلي مع اختبار شامل للمسرحيات المصرية المصنفة تحت هذه الاشكال ويعقب ذلك تحليل مفصل لمسرحيات تأثرت اكثر من غيرها بالشكل الغربي .

وخلاصة القول ان دراسة الدكتورة تعتمد العناية بالشكل اكثر من تعرضها الى المضمون بالطريقة التفسيرية معتبرة فى ذلك شكل الاعمال الدرامية وسيلة لفهم رؤية الكاتب وعمله مع الاقرار طبعا باستحالة فصل الشكل عن المضمون .

● « **الرياضيات القديمة** » :

صدر فى سلسلة « دراسات » من المكتبة الفلسفية التى شرعت فى اصدارها الدار التونسية للنشر بتاريخ 1985 كتاب « الرياضيات القديمة ونظرية العلم الفلسفية » للاستاذ الدكتور أبى يعرب المرزوقي .

وهى دراسة مختصة تتضمن فى الباب الاول منها استنباط خصائص الشكل الاقليدي الوجودية والمنطقية وفى الباب الثانى التعرض الى مراحل الابستملوجيا من أرسطو الى كونت وكارناب تخلصا الى بنيتها الفلسفية وفى الباب الثالث الانتقال الى الجبر الهندسي بايراد الاشكال العشرة الاولى من المقالة الثانية من أصول اقليدس وفى الباب الرابع والاخير اقليدس العربي من خلال وثيقة نقلها أبو يعرب المرزوقي عن هيث .

ويقول الاستاذ عبد المجيد الشرفي فى تصديره للكتاب « ان المؤلف قد مزج بين التاريخ والعلم والفلسفة مزجا جديرا بالتنويه .. وان الكتاب مفيد مع ان اراءه واستنتاجاته مدعاة الى النقد والتقييم » .

وبما أننى لست من أهل الاختصاص فى الموضوع فانه لا يجوز لى ابداء اى رأى لكننى الاحظ فقط أن الاستاذ ابا يعرب تجنب ثقل الهندام العلمي ولم يضف على عمله صيغة الرسالة الجامعية ولا ادعى ذلك بل سعى الى مجرد التعريف بالرياضيات القديمة والنظرية العلمية التى استمدها الفلاسفة منها .

● « في رحاب المغرب العربي » :

صدر بتاريخ 1985 للدكتور صالح الخرفي مدير ادارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كتاب بعنوان « في رحاب المغرب العربي هو مجموعة بحوث ودراسات في ابراز النهضة الفكرية والادبية في المغرب العربي وتدعيم الوطنية خاصة في الجزائر اعتمادا على رائد الصحافة الجزائرية عمر بن قدور وعلى زعيم التفكير الاسلامي بها عبد الحميد بن باديس وعلى شاعرها الفحل محمد العيد وجزء كبير من الكتاب يتناول الشعر في المغرب مع منزلة خاصة فيه لابي القاسم الشابي والشعراء الجزائريين وعودة الى محمد العيد في « ملامح من المأساة الجزائرية » .

أما المقال في « الثورة الجزائرية في الشعر المعاصر » الذي يختتم به الكتاب فانه يذكر بعض شعراء وشواعر مشرقيين ويهمل اهمالا تاما شعراء المغرب العربي وخاصة شعراء تونس المعاصرين .

● « ولــدى » :

صدر باللغة الفرنسية كتاب « ولــدى » لبوبكر لطيف عزيز وهو قصة شيقة لوقائع سياسية واجتماعية تتشكل أحيانا في صورة سيرة ذاتية غنية بالمعلومات عن المقاومة التونسية ومجابهتها للاستعمار ومختلف استفزازاته وانواع استبداده وارهابه .

صفحة مجيدة شيقة تضاف الى تاريخ الحركة الوطنية .

● « الـوسيــة » :

صدر عن مطابع « الهيئة المصرية العامة للكتاب » بتاريخ 1983 رواية بعنوان « الوسية » للدكتور خليل حسن خليل وهي قصة حياة شاب مكافح في الجندية ثم في الحياة هي أقرب الى السيرة الذاتية منها الى الرواية لكنها ذات مضمون اجتماعي ومصورة للبطل وهو فرد من افراد الشعب في صراعه مع الوضع الاجتماعي في نظام جائر هو النظام الملكي بمصر سابقا الذي كان ينكر على الشعب المصري أي حق من حقوقه .

وان اتسم هذا العمل بالصدق والصراحة والاصالة فان العناصر الفنية للرواية غير متوفرة فيه اذ يغلب عليه أسلوب « اليوميات » كما ينفي عنه واقع الاحداث واحترام صحتها أي مظهر للخيال واي تصرف فني في اعادة تنسيقها .

● « مــن القلــب » :

مجموعة اشعار لعمر عبد البارى صدرت سنة 1985 عن الشركـة التونسية للنشر بتقديم الاستاذ محمد مزالى تحت عنوان « الشعر فى الملحمة البورقيبية » .

الكتاب مجموعة أشعار تمجيدا للمجاهد الاكبـر الرئيس الحبيـب بورقيبة تتغنى بمناقبه الجليلة وحسناته وعبقريته وسداد رأيه وتضحياتـه لا يقصد منها صاحبها سوى ارضاء النفس واثارة مشاعر المواطنين فى حبهـم لرئيسهم ووطنهم وشحذ ذاكرتهم لئلا يتطرق اليها النسيان كما يقول الاستاذ محمد مزالى فى تقديم المجموعة اذ « أن النسيان ليس عقوقا فحسب بل انه يمهد للوقوع فى الاخطاء التى أدت الى حصول ما حصل من ظروف قاسية عانى الشعب ويلاتها» .

« وان الشاعر يورد ويؤكد أن حظ تونس ليس فى مدخراتها المتواضعة بل انه فى العبقرية البورقيبية التى ولدت الثورة وانجبت جيل المعجزات الـذى يواصل الآن مسيرة التنمية والازدهار نحو الغد الأفضـل » .

● « الملكيـة التجاريــة » :

صدر بتونس سنة 1985 للاستاذ رشيد الصباغ كتاب بعنـوان « الملكيـة التجاريـة » .



يتناول الكتاب الاحكام الجديدة فى الموضوع بعد أن يقدم لها بنشأة الملكية التجارية ومفهومها وتطورها وصراعها مع الملكية العقارية .

وللكتاب قسمان قسم فى الاحكام الجديدة بتونس وبه بابان كل منهما فى فصول عديدة الاول فى تحقيق التوازن بين الملكية التجارية والملكية العقارية والباب الثانى فى تبسيط الاجراءات بالرجوع بها الى القانون العام .

اما القسم الثانى من الكتاب فيتضمن ملحقات قوانين الملكيـة التجاريـة فى المغرب العربى : تونس والجزائر والمغرب الاقصى .

وينتهى الكتاب بثبت للمراجع العربيـة والفرنسيـة ( الكتـب والمقـالات والدوريات وبفهرس ألفبائى وفهرس للموضوعات) .

**محســن بــن حميــدة**

## أصدقاء الفكر

● **تحيــة للفكــر فى عيدها الثلاثــين :**

تحت هذا العنوان الصادر فى نشرية « نادى الينسكو والالكسو » نشر مقال فى ص 9 جاء فيه ما يــلى :

بين اكتوبر 1955 واكتوبر 1985 مسيرة طويلة وشاقــة لكن ثريــة وجادة اجتازتها بكل عزم وثبات مجلة « **الفكر** » يقودها فى ذلك المفكر اللامع محمد مزالى والاستاذ الكبير البشير بن سلامة .

ومجلة الفكر ما كان لها ان تلاقى هذا الشموخ فى الساحة الفكرية والثقافية فى تونس وخارجها لولا مثابرة أسرة تحريرها على تخطى الحــواجز ومواجهة الصعاب . وما كان للفكر أن تسجل هذا النجاح الباهر لــو لم تعمل عــلى نبذ الانغلاق على نفسها وعدم ابقــاء مجال الكتابة والابداع مقتصرا عــلى فئة دون أخــرى .

وان كانت التجارب العديدة الاخرى التى سبقت « **الفكــر** » لم تعمر طويلا ، اذ سرعان ما كانت تنهار لمجرد ان يطرأ خلل على الاسس المادية التى ترتكــز عليها ، فان مجلة « **الفكــر** » لم ترهن مصيرها بوفرة التمويلات لتضمن بقاءها وانما راهنت ، وفى أولى المراتب ، على الانسان كطاقة للبذل والعطاء وقدرة على الجد والمثابرة ، فكان هذا الرهان وحده كفيلا بأن يحقق ما حققــه « **للفكــر** » من نجاح وتوفيق ، فتبقى المجلة منارة شامخة تحمل المشعل فى الحقل الفكرى تنجز ما عهدت به الى نفسها من مهام وواجبات .

ولقد اتسمت هذه المسيرة الموفقة باكثر مــن ميزة يجدر الوقــوف عندهــا لتسجيل اهميتها فى حياة « **الفكــر** » .

**أولا :** ان مجلة « **الفكــر** » قد حافظت على استمرارية ودوام قلما نشهدهما فى التجارب الاخرى فى مغرب الوطن ومشرقه . فبالرغم من ضعف الامكانات المادية وتردى المناخ السياسى والاجتماعى وركود النشاط الفكرى خلال انبعاثها

واصلت « **الفكر** » الصدور ولم تتخلف عن موعدها فى غرة كل شهر ولمدة ثلاثين سنــة .

**ثانيــا :** لقد ساهمت المجلة مساهمة فعالة وجـادة فى اثراء الميدان الفكرى والثقافى سواء فى تونس او فى كامل ارجاء الوطن العربى . والى جانب محافظتها على الاصالة العربية والتونسية ، فان «**الفكـر**» فسحت مجالا واسعا للتجاوب بين الثقافات والحضارات فى العالم .

**ثالثـا :** أرادت « **الفكـر** » منذ انبعاثها ان تكون وعاء يحوى كل التيارات الفكرية والمجالات الابداعية . فقد فتحت « **الفكـر** » صفحاتها لكـل الاجيـال والمدارس والمذاهب على تباينها فى النظريات واختلافها فى الاتجاهات .

فها هى الفكر تتوج عشريتها الثالثة بنجاح وتطرق باب العشريـة الموالية بنفس العزم والارادة ، فمنا اليها تحيـة اعجاب وتقدير وتمنياتنـا لها بمزيد التوفيق والتقدم لتواصل القيام بدورها كاملا فى الحياة الفكرية والثقافية فى البـــلاد .

● **احداث مجالس جهوية للثقافة :**

**صدر فى 30 نوفمبر 1985 عدد 1487 فى الرائد الرسمى الامر الجمهورى المتعلق باحداث وتنظيم وتسيير المجالس الجهوية للثقافة . ويعد هذا الهيكل الجديد منعرجا جديدا ولبنة صلبة فى صرح نهضة الثقافة التونسية وهو يأتى حلقة جديدة تضيفها حكومة المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة برئاسة الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول ووزير الداخلية . ونظرا الى أهمية هذا النص القانونى الصادر عن وزارة الشؤون الثقافية بسعى من الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية فاننا آثرنا نشره كاملا حتى يتعرف القارىء الى ما وصلت اليه تونس فى مجال لامركزية الثقافة وديمقراطيتها :**

«الفصل 1 ـ احدثت بمراكز الولايات هياكل استشارية تسمى المجـالس الجهوية للثقافة .

الفصل 2 ـ تتمثل مهام المجالس الجهوية للثقافة فى :

ـ اعداد المخططات للميدان الثقافى بالجهة فيما يتعلق بالهياكل الاساسية الثقافية والتجهيزات والاطار والتمويلات .

ـ تقديم الاقتراحات الى المجلس الاعلى للثقافة فيما يخص المخططات القومية الراجعة الى الميدان الثقافى .

ـ تقديم اقتراحات مضبوطة فى الاولويات التى يجب على وزارة الشؤون الثقافية مراعاتها عند ضبط ميزانية الدولة السنوية .

ـ العمل على خلق تعاون مثمر بين الوزارة ومختلف الجهات قصد تبادل الآراء واثراء الحوار فى مختلف ميادين الثقافة وافساح المجال أمام المسؤولين

الجهويين لايجاد ظروف ملائمة للخلق والابداع تأخذ بعين الاعتبار خاصية الجهة وميول متساكنيها ٠

ـ العمل على تدعيم لامركزية الثقافة وتقريبها من المواطن حيثما وجد ٠

ـ العمل على ارساء قواعد ديمقراطية الثقافة على أسس سليمة تتفاعل من خلالها اسهامات المبدع مع حاجات البيئة لخلق تواصل ايجابي بينهما وصولا الى الاجود والابقى ٠

ـ العمل على الاسهام في حركة النهوض الاقتصادي نظرا لما يكتسيه البعد الثقافي من أهمية بالغة في عملية التنمية الشاملة والمتوازنة بالبلاد ٠

ـ متابعة تنفيذ البرنامج الثقافي السنوي على مستوى الجهة من حيث النشاط والتجهيز وتقييم العمل الثقافي السنوي وتقديم مقترحات عملية الى وزارة الشؤون الثقافية ٠

ـ تشريك مجالس الولايات والمجالس البلدية والمؤسسات الاقتصادية بالجهة وممثلي الوزارات ورجال الثقافة والباعثين العقاريين العموميين والخواص ورجال الاعمال في العمل الثقافي ونشره تجهيزا وتنشيطا وتمويلا ٠

الفصل 3 ـ يتركب المجلس الجهوي للثقافة من :

الوالي : رئيسا ٠

الكاتب العام للجنة الثقافية : مقررا ٠

**الاعضاء :** رئيس اللجنة الثقافية والمندوب الجهوي للتعليم الثانوي والمندوب الجهوي للتعليم الابتدائي والمندوب الجهوي للفلاحة والمندوب الجهوي للشباب والرياضة والمندوب الجهوي للشؤون الاجتماعية والمدير الجهوي للتجهيز والاسكان وممثلين عن بلديات الجهة وممثلة عن الاتحاد القومي النسائي التونسي وممثل عن الاتحاد الجهوي للصناعة والتجارة وممثلين عن الاتحادات الجهوية لنقابات العمال والاعراف وممثلين عن الفرق والجمعيات والمؤسسات الثقافية وممثلين عن أبرز الشركات الاقتصادية والصناعية بالجهة وثلة من رجال الفكر والفن والمهتمين بشؤون الثقافة وثلة من رجال الاعمال ٠

ويمكن لرئيس المجلس ان يستدعي بعنوان استشاري كل الاشخاص الذين تظهر له فائدة في مشاركتهم ٠

الفصل 4 ـ يتراوح عدد اعضاء المجلس الجهوي للثقافة بين 15 و 25 عضوا٠

الفصل 5 ـ يجتمع المجلس الجهوي للثقافة مرتين في السنة على الاقل بدعوة من رئيسه الا أنه يمكن استدعاء المجلس بصفة استثنائية من طرف وزير الشؤون الثقافية كلما رأى في ذلك فائدة ٠

الفصل 6 ـ لكي تكون الجلسات قانونية يجب حضور نصف الاعضاء على الاقل ٠

الفصل 7 ـ تتمثل مهمات رئيس المجلس الجهوى للثقافة فى :
ـ اعلام الاعضاء بالاجتماعات قبل ثلاثة ايام على الاقل من انعقادها •
ـ ضبط جدول الاعمال •
ـ الاشراف على جلسات المجلس •
ـ تنسيق العمل بين اعضائه •
الفصل 8 ـ يضطلع مقرر المجلس الجهوى للثقافة بـ
ـ كتابة المجلس •
ـ مسك الوثائق الخاصة بالمجلس •
ـ ارسال نسخ مطابقة للاصل من محاضر الجلسات الى وزير الشؤون الثقافية والى رئيس اللجنة الثقافية القومية •
الفصل 9 ـ يعين أعضاء المجلس الجهوى للثقافة بقرار من وزير الشؤون الثقافية بناء على اقتراح من السلط الجهوية وذلك لمدة سنتين قابلة للتجديد •
الفصل 10 ـ تسجيل المداولات فى محاضر جلسات ممضاة من طرف الرئيس والمقرر وتضمن فى دفتر •
الفصل 11 ـ تضبط التمويلات المتأتية عن المؤسسات والمجموعات المحلية وكيفية صرفها بقرار من وزير الشؤون الثقافية •
الفصل 12 ـ وزير الشؤون الثقافية مكلف بتنفيذ هذا الامر الذى ينشر بالرائد الرسمى للجمهورية التونسية •

● **نـدوة فى مؤسسة « بيت الحكمـة » بتونس :**

التأمت يوم الجمعة 14 فيفرى 1986 فى مؤسسة بيت الحكمة نـدوة وحدة البحث فى تاريخ العلوم عند العرب اشرف على افتتاحها الاستـاذ احمد عبد السلام رئيس المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق وحضرها عدد محترم من اهل الفكر والثقافة والمعرفة وكانت فرصة للتحاور من اجل استقراء هذا الموضوع الهام المتمثل فى « تاريخ العلوم عند العرب » .

والمتأمل فى برمجة يومى النشاط والمحاضرات يلمس ان قسم الدراسات والاشعاع الثقافى وبالتالى وحـدة البحث هـذه ضبطت برنامجا ثريا حافلا بالمحاضرات الجيدة يتخلله نقاش وحوار من اجل اثراء الندوة :

وبعد كلمة الافتتاح التى القاها الاستاذ احمد عبد السلام التأمت اولى الجلسات العلمية برئاسة الدكتور خليل جاويش وكان اولى المحاضرين فى هذه الجلسة الدكتور محمد السويسى الذى قدم مداخلة حول انتقال العلوم العربية والحضارة الاسلامية الى الغـرب .

ولاحظ الدكتور السويسى ان العرب نقلوا العلوم وجمعوا المخطوطات من بلاد الروم فى حين اعرض عنها اهلها وقل دارسوها وغشاها غبار النسيان .

ـ دعوة المجلس للانعقاد .

والمهم في مداخلة الدكتور السويسى انه جمع فاوعى وقيم فحلل ونجح فى استقراء موضوع انتقال العلوم العربية والحضارة الاسلامية الى الغرب مستندا فى ذلك الى شواهد معرفية وأعلاما اسهموا فى الترجمة والتحقيق وكانت طليطلة فى النهاية المركز الرئيسى للترجمة .

ويختتم المحاضر كلمته مبرزا ان رحلة الحضارة الاسلامية والعلم العربى الى أوربا فى القرون الوسطى وفقت على عدة معابر أولها طريق اسبانيا وثانيها المعبر الصقلى المار عن جنوب ايطاليا ومن وسطها وثالثها طريق المشرق اثناء الحروب الصليبية (1096 ـ 1291) وفى استقراءات الدكتور السويسى معان معبرة ويقول فى نهاية الرحلة العلمية :

« واذا ما كان العرب ـ اليوم ـ فى موقف الطالب للتقنيات المتعطش للمعارف العصرية والعلوم الحديثة فكم كان لهم ـ فى الماضى ـ من اياد على البشرية من العقوق أن لا تذكر ، ومازال البحث والتنقيب المتواصلان يكشفان كل يوم عما تراكم عليها من استار وما تكدس من غبار .

ولئن توجهت اليوم الامة الاسلامية مسرعة نحو العرفان ولئن تعلق عزمها بالمشاركة فعلا فى العمل العلمى الجماعى فى سبيل البشرية قصد الرفع من مستواها المادى والذهنى فما ذلك الا حق واجب لها ، ليس لاحد ان يحرمها اياه او ان يبخل به عليها او ان يحاول ان يعرقل سيرها نحوه ولا ان يبيعها البعض منه بما من شأنه ان يمس بكرامتها او ان يجعل المقابل المطلوب اكثر مما يفرضه الترافق والتعاضد البشرى » .

على كل فان ندوة قسم الدراسات والاشعاع الثقافى وحدة البحث فى تاريخ العلوم عند العرب كانت ندوة مفتوحة . لان ما قدمته كان بمثابة الاستقراء الحقيقى للعلوم فهناك التعليل والتركيب فى الرياضيات العربية وهناك الفكر التاريخى العربى وهنالك مساهمات حول المؤتمر فى الرياضيات وتاثيرها فى المغرب والقانون فى الطب لابن سينا ...

والاهم من هذا كله هنالك عزيمة الرجال الناحتة للحاضر المشرق وقد تمكنت المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات من ان تكون بيتا للحكمة ومركز اشعاع ثقافى فى المنطقة العربية والاوربية لان تونس مثلما اكده الرئيس الحبيب بورقيبة فى 15 ديسمبر 1956 تنتمى الى الثقافة العربية الاسلامية ، لا يمكن لها ان تنغلق وان تنكمش على نفسها فقد يكون هذا انتحارا ثقافيا لا ترضى به، فهى تروم اولا وبالذات ان تعيش العصر وتتلاءم ومقتضياته .

## ● اللغة العربية فى 35 مدرسة كينية :

فى نطاق سعى «الالكسو» لنشر اللغة العربية قامت المنظمة منذ عامين

بايفاد خبير فى المناهج الى كينيا ، وقد أنهى هـذا الخبير وضع منهـج لتعليم اللغة العربية فى المدارس الحكومية الكينية بناء على طلبها وباتفاق مع المنظمة وذلك بعد قضاء عامين فى هذه المهمـة .

وقد وضعت المناهج موضع التنفيذ فى خمس وثلاثين مدرسة ثانوية حكومية ابتداء من 6 جانفى 1986 .

● **الاتحـــاف :**

هذا عنوان مجلة تصدرها اللجنة الثقافية الجهوية بسليانة ، وقد صدر منها العدد الثالث من سنتها الاولى فى جانفى 1986 وكتب افتتاحيته مديرها المسؤول الصديق عبد القادر الهـانى فذكر أن المجلة بدأت تستكمل هويتها وتؤسس ملامح خاصة بها كمجلة تفتح صفحاتها لكل الاقلام من كامل الجمهورية بالرغم من كونها مجلة جهوية .

ونحن نعتبر «الاتحـاف» اضافة هامة فى الساحة الاعلامية والثقافية نباركها ونرجو لها التواصل باعتبار أن أصعب الامور لم تعد بداياتها بـل مواصلة مـا بدأنا ٠

● **مجموعـة « الارض » للرسامين الفلسطينيين :**

افتتح يـوم الخميس 13 فيفرى 1986 بداكـار معـرض مجموعـة الرسامين الفلسطينيين ( الارض ) الذى يستمر عدة ايام بالعاصمة السينغالية قبـل ان ينتقل الى عواصم افريقية اخرى .

واقيم حفل افتتاح المعرض بحضور ممثل عن وزارة الثقافة السينغالية واعضاء السلك الدبلوماسى المعتمدين بداكار .

ولاحظ ممثل منظمة التحرير الفلسطينية بداكار عـبد العزيز الاسطـل فى كلمته الافتتاحية للمعرض ان هذه التظاهرة الثقافية الفلسطينية تقـام بمناسبة الذكرى العشرين لانطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة التى قال عنها : انها لم تكتف باستخدام الوسائل العسكرية او السياسية والدبلوماسية بـل حررت طاقات الشعب الفلسطينى الخلاقة واتاحت لها المشاركة فى النضال التحريرى الوطـنى .

واضاف المسؤول الفلسطينى : ان الفنون صارت ادوات مفضلـة للنضال تترجم الواقع الثورى للشعب الفلسطينى وتعبر عـن طموحاتـه ومشروعاتـه بالنسبة الى فلسطين الغد وتقاوم الغزو الثقافى والدعاية الصهيونية .

كما اشار الى استمرار المحاولات الصهيونية الراميـة الى اغتصـاب التراث الثقافى الفلسطينى فقال ، لقد ذهب العدو الصهيونى فى طغيان وقاحته وصلفه الى حد اغتصاب تراثنا بالادعاء بان ازياء شعبنا ورقصاته واكلاته النابعة اصلا من حضارة امتنا هى جزء من التراث الاسرائيلى . وقد بلغ الامر باسرائيل فى

هذا المضمار الى درجة ان اوفدت في الاسبوع الماضي الى جنوب افريقيا ـ صنوها في العنصرية والنهب ـ فرقة فنية لتقديم الفن الشعبي الفلسطيني تحت سمة صهيونية ٠

وابرز ممثل منظمة التحرير الفلسطينية عمليات المصادرة التي قامت بها السلط الاسرائيلية ضد الاعمال الفنية التي ابدعها الفنانون الفلسطينيون واوضح ان الصراع بات سلسلة من المواجهات اليومية لاسيما في الاراضي المحتلة حيث تقوم سلطات الاحتلال الاسرائيلية باعتقال الفنانين الفلسطينيين بمن فيهم الرسامين الذين تصادر لوحاتهم او تغلق معارضهم بدعوى ان اعمالهم الفنية تحريضية او استفزازية .

● **الحضـارة الاسـلامية وبعدها الانساني :**

الحضارة الاسلامية وبعدها الانساني ودورها في تعزيز التعاون العـربي الافريقي كانت محور ندوة نظمتها الامانة العامة لجامعة الدول العربية وشارك فيها أكثر من عشرين باحثا من أفارقة وعرب وقد تناولت البحوث والمداخلات المقدمة مسائل تتعلق أساسا بالتعاون الاسلامي الافريقي والصفحات الناصعة من التاريخ المشترك بينهما بالاضافة الى واقع هذا التعاون وآفاقه ٠

● **رجـاء ڤـارودي والاسـلام الواحـد :**

«لا يمكن أن يكون الاسلام في القرن العشرين الا ذلك الاسلام الخالد ، لان الاسلام ليس دينا من بين الاديان ولكنه الدين الاساس ٠٠ كما أنه لا تعدد في الاسلام فلا يوجد اسلام للغرب واسلام لافريقيا السوداء أو اسلام للهنود أو للاندونيسيين ٠٠ انما هو اسلام واحد» ، هذا قول ورد بالمحاضرة التي القاها أخيرا بدار الثقافة بتطوان (المغرب الاقصى) الفيلسـوف الفـرنسي المسلـم «رجـاء ڤـارودي» عضو الاكاديمية الفرنسية ٠ علما وأن هذا المفكر الاسلامي الكبير قد عين عضوا بالاكاديمية المغربية وهو عضو بيت الحكمة المؤسسـة التونسية المجمعية للترجمة والتحقيق والدراسات ٠

● **دمعة أسى على فقيد المسرح التونسي :**

**فجعت العائلة المسرحية بتونس في الفنان الراحل عمـر خلفـه الذي وافته المنية في «مستشفى شارل نيكول» ٠٠ وقد عبرت عن تلك الفجيعة الادبية : شفيقة الساحلي بهذه اللوحة الحزينة التي ننشرها مشاركة من «الفكـر» في رثاء هذا الفنان الراحل فقيد المسرح التونسي عمـر خلفـه :**

«نبكيك يا عمر كما لم نبك أبدا ، نبكيك يا عمر بكل ما لدينا من دموع ، نبكيك يا عمر بكل حسرة ٠٠٠ وحرقة على شبابك وطموحاتك وآمالك العريضة

التى لم تبلغ شأوها بعد • نبكيك يا عمر ونذكرك بما كنت تقوله فى عديد من المناسبات : «مازلت معملتش الى نحب» •

ظللت تنتظر الفرصة المواتية وظللنا ننتظرك فى شغف ولهفة الى أن باغتنا نبأ موتك وفجعنا لهذه الرزية •

حقا أيها الفنان التونسى العبقرى المبدع لقد أخذتك يد المنية وأنت فى أوج العطاء والبذل والسخاء • أخذتك ولم ترحم شبابك وطموحاتك وأطفالك الصغار الذين مازالوا بحاجة الى عطفك وحنانك • ولكن بقدر ما آلمك انتظارك الرهيب بقدر ما عذبنا موتك المفزع •

اننا يا عمر نؤمن كل الايمان بأعمالك الفنية الجليلة التى قمت بها وبمقدرتك الابداعية الخلاقة التى توجت بها المسرح التونسى وشرفت بها البلاد التونسية، بلادك ووطنك ودمك ، وذلك فى جميع أنحاء العالم العربى •

كنت يا عمر المثل العبقرى المعطاء والصورة الوضاءة الناصعة لاساتذتك أمثال عبد العزيز العقربى ومحمد الحبيب وحسن الزمرلى وغيرهم ••• وانك أيضا القدوة الحسنة والمثل الاعلى للاجيال القادمة •

مضيت يا عمر قبل الاحتفال باليوم العالمى للمسرح الذى أعددت له بكل شجاعة وثقة وعزم وثبات مسرحية «مونسيرا» كما أنك مضيت دون أن تتحفنا بمسرحية «ثريا البلنسية» فى افتتاح المهرجان الدولى بالحمامات •

مضيت وبداخلك بركان لم يتفجر ••• مضيت ومضى معك حلمك الجميل••• مضيت جسدا ولكن روحك ستظل بيننا ومعنا • لن ننساك يا عمر ولن ننسى أعمالك وتضحياتك الجسام • لن ننساك يا عمر وثق بأنك ستظل على مر السنين عمر الذى لم يستكمل مشواره الفنى ، عمر الذى ناصر اللغة العربية ، عمر الذى ضحى بشبابه وحياته من أجل المسرح ، من أجل مسرح أفضل وغد مجيد • ستبقى خالدا ولسوف نكمل نحن المشوار يا عمر ، فلا تيأس وسوف نتمم المسيرة فلا تجزع • واهنأ بالا لمصير المسرح التونسى فنحن لك واعدون •

وختاما ما •• باسمك ــ أيها الفقيد العزيز ــ نتوجه بنداء حار الى المسؤولين فى القطاع الثقافى والاعلامى بأن يولوا أكثر اهتماما للمسرح تشجيعا للمواهب الواعدة لتلك الشموع قبل انطفائها ، ولتلك الزهور قبل ذبولها • وايماننا أن الشموع لن تنطفىء والزهور لن تذبل ما دام الاستاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية يولى اهتماما بالغا ورعاية فائقة للثقافة وأهلها وكيف لا وهو الاديب والمفكر والفنان المبدع الخلاق ؟»